كتاب اليوم

ثانية واحدة من الحب

أحمد بهجت



دار
أخبار اليوم

قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد سبتمبر ٢٠٠٠ □

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم الثقافى فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٣٠	درهم
لبنان	٥٠٠٠	ليرة
الأردن	٢,٥٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٧٥٠	دينار
السعودية	١٥	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٣,٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٥٠	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٥٠٠	دينار
سلطنة عمان	١,٥٠٠	ريال
غزة	٣	دولار
ج. اليمنية	٣٠٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٥	درهماً
قطر	١٥	ريالا
انجلترا	٣	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
المانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا ـ أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك ـ واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٦	دولار

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جنيها مصريا

● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٣٣ دولارا

اتحاد البريد الافريقي ٣٨ دولارا

أوربا وأمريكا ٤٣ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٥٣ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٠ ٢٠٣٢١

● تلكس محلى : ٢٨٢

● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

أحمد بهجت

ثانية واحدة من الحب

الغـلاف بريشـة الفنـان :

عمــــرو فهـمــى

مقدمة

يضم هذا الكتاب مجموعــة من القصص القصيرة التى كتــبت فى فترة الستــينات والسبعــينات .. وسوف يلاحظ القارىء الذكى أن الكاتب متأثر فى كثير من قصصه بروح أنطون تشيخوف .

وخاصة فى قصصه الساخرة .

إن أبطال القصص محبطون .. وبعــضـهم يعرف السبب وأكثرهم لا يدرى شيئا عن علة الإحباط وسببه .

أيضـــا يعيش مــعظم أبطال القصص فى بؤس إنســانى غامض لا يعرفون عنه شيئا .

إنـهم بؤســاء لا يعــرفــون أنهــم بؤســاء .. وحظهم من الحب هو رؤيته فى قاع الأحلام البعيدة .

ورغم ذلك فهم مــضـحكون .. وينبع الإضـــحاك هنا من عدم إدراكهم للأزمة التى يعيشون فيها .

....

كتــبت هذه المجموعة فى الســتينات والسبـعينات ، فى فتــرة الشبــاب .. حين كان الإنســان يحلم بتغـييــر العالم ويتصور أن الكتابة تستطيع أن تساهم فى هذا المشروع .

....

قرأت بروفات الكتاب .. وابتسمت فى بعض مواضعه ، وقهـقهت فى بعض قـصصـه .. واكتـأبت فى بعضـها .. وهاأنذا ادفع بالكتــاب إلى القــارىء .. لعله يشــاركنى فى الإحساس بهذه الصور المصرية ، ويعيش معها كما عشت وربما رأى فيها ما لم يره المؤلف نفسه .

أحمد بهجت



ثانية واحدة من الحب

ظله ساقط بين قدميه ، وحيثما يستطيع النظر أن يصل لم يكن هناك ظل ، والشمس تسكب كل صفرتها على تلال الغفير ومقابره ، والفراغ الرطب فى قلبه يجعل أعوامه الأربعين شيئا لا معنى له كمحطة الأتوبيس الوحيدة الحية وسط هذا الجلال الميت . وفاجأته هبة من التراب فنفذت لأنفه قبل أن يشيح بوجهه .. ما هذا ؟... أيمكن أن ينطوى مثل هذا المكان على رائحة عطر .. ملأته الدهشة ، وأحس بما يشبه الإلهام إن لهذا التراب طعم عيون إنسانية كانت تومض بالفرح وتمتلىء بالدموع وتعرف الحب ، ثم ماتت صاحبة العيون التى تومض . لا . ليس هذا التراب لرجل ، تلك هبة رقيقة لم يعد باقيا من صاحبتها غير قطرة العطر التى اشترك ذهنه فى خلقها ولم ينفذ إلى حلقه منها غير ذرات التراب ، وحاول أن يتصور كيف كانت الفتاة تنظر ، طريقتها فى الابتسام .. لون عينيها .. عالمها الصغير .. هل كانت طيبة ، وخيل إليه أنه أصبح يعرفها ، ليست غريبة تماما عنه ، لم تعد غريبة عنه من اللحظات التى أقبلت فيها هبة التراب وهى تحمل عطرها الغريب ، وخيِّل إليه أنها تصافحه وتسلم عليه وتسأله عن أحواله ، وقال لها ـ وطعم التراب فى فمه ـ إنه ولله

الحمد بخير ، ولم يقل لها ما به لأن الشكوى لغير الله مذلة ..

وأقبلت قافلة أخرى من التـراب ، فأشاح عنها وحاول أن ينظم تنفسه ، وأدهشه اكتشـافه أنه يتنفس ، وراقب أنفاسه وحاول أن يعدها ، لم يكمل العشرة وشرد ذهنه ، ونسى أنه يتنفس ، وضاع منه فى ذات اللحظة أحـد أسرار الخليقة ، وعـاد الخمول يغـرقه ، وتأمل الأتوبيس القادم ، كان الأتوبيس بلونه الأحـمر وضوضائه والتراب الذى يثيره يبعث على الغـرابة ، وأحس بحزن غامر كثيف يغمره . كم انتظر عبثا أن يلتهب شىء ويشع فى داخله ، ثم تقادم العهد علـى انتظاره فنسى ما كان ينتظره ، بات ينسى كـثيرا هذه الأيام ، أطراف القـميص بليت ونـسى أن يلاحظ ذلك منذ شـهـر . وصل الأتوبيس فـصعـد . كان الأتوبيس شبه فـارغ ، فالسـاعة الثانيـة عشرة وناس قلائل يجلسون ، وتصفح وجوه الجـالسين فى الأتوبيس ، وغـمره شعـور بأنه متـشرد مثل كـلب أضاع فى الليل سيده ، ونسى شعوره وجلس فى مقعده ، ثنى يده وأخرجها من شبـاك الأتوبيس ، تأمل وجه الفـتاة التى تجلس أمامـه ، كان وجهـا جامداً لا يوحى بشىء ، ونظر فى وجهـا وفكر فى مئات الأشيـاء دفعة واحـدة . فكر أنه قبل أن يرخى عـينيه عن وجهـها ستـقع ملايين الأشـياء فى الدنيا ، سـيصـرخ آلاف الأطفال وهم يولدون ، وستعطى فتاة نفسهـا لرجل يبتسم فى وجهها ويكذب ، وسينتهى شاعر هناك من آخر بيت محزن فى قصيدته ، وسيقذف رجل فى حانة بكأس من النسيان فى جوفـه ، وسيصرخ قرد فى

الغابة ونمر يلطمــه تهيئة لالتهـامه ، وفى البحر تتـسابق الدرافيل جـوار المراكب لكى تلتــهم مـا يلقى من الطعـام لكن أحـدا لا يلقى شيئـا ، ويسـأل الدرفيل الصغيـر والده أين الطعام الذى وعده به؟ فينهره الأب ويفهمه أنهما خـرجا يتعلمان السباحة ، وفى الأرض تسقط أوراق كثـيرة من الشجر وتتحـرك من بطن الأرض ملايين النباتات بحنين إلهى لا يقاوم نحو الشمس .. وسيجلس هو ساكنا لا يفعـل شيئـا سوى ازدراد ريقـه وقراءة اللافـتات والاستـلقاء بنظراته فوق المقاعد الخالية ، ثم وقع الحادث فجأة .

شىء لا يمكن أن يحدث له أبدا .

انتفضت الفتاة الجالسة أمامه ومدت يدها وأمسكت يده ، كانت أصابعها باردة ومثلجة رغم قطرات العرق التى انعقدت عند منابت شعرها ، وشدت الفتـاة يده إلى الداخل بسرعة وعنف ، ومرق فى نفس اللـحظة أتوبيس ثان جــوار الأتوبيس الذى يجلس فـــيـه ، واندفع جواره كالسهم ، وكانت المسافـة بين السيارتين تقل كثيرا عن المسافة التى كانت يده الممدودة تحتلها .

- مش تحاسب .

- أنا ...

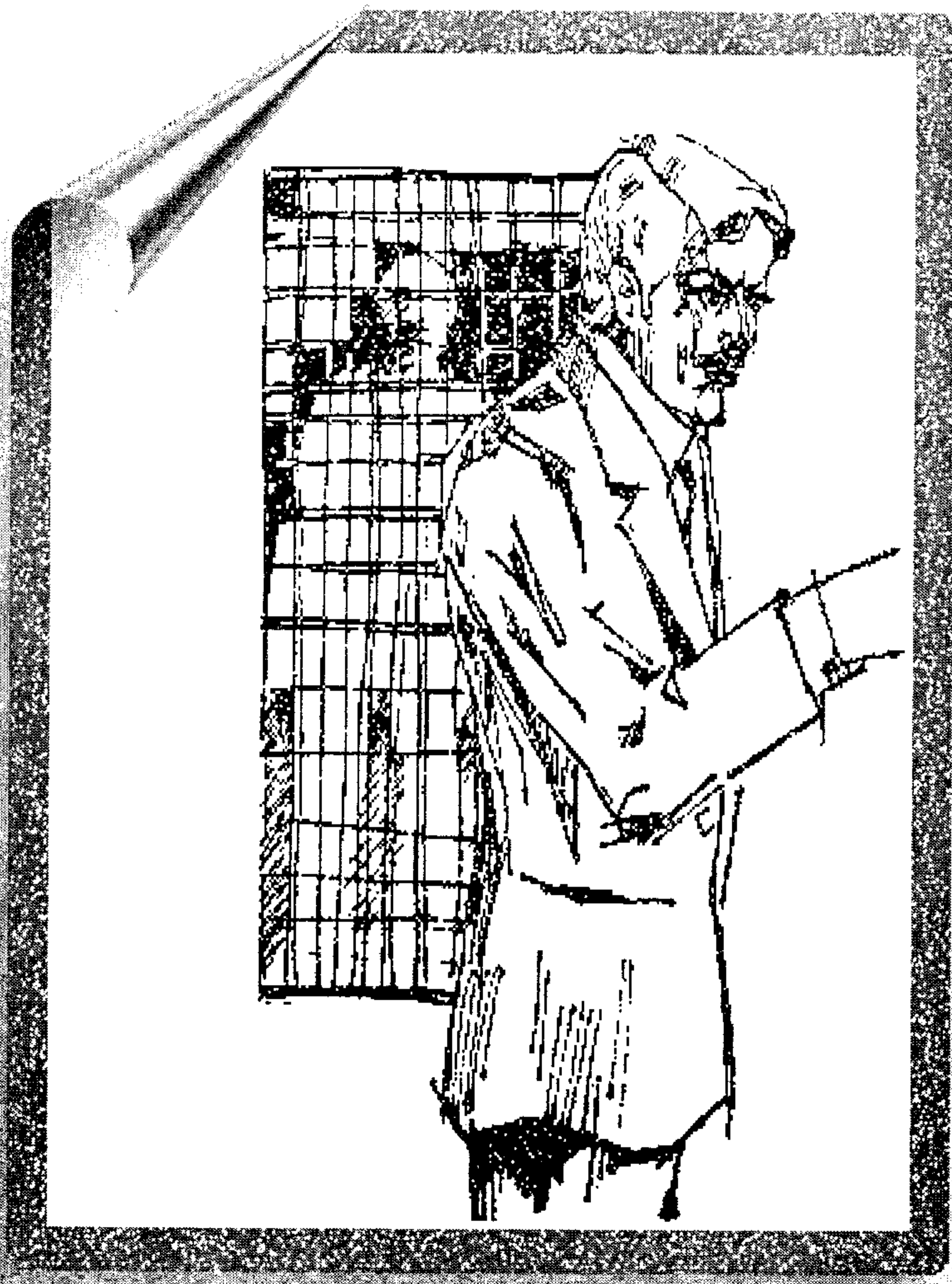
إنها تتـحدث إليه ، وهو يرد عـليها ، وها هى تفـتح فمهـا مرة ثانية لتقول شيئا لا تلبث أن تعدل عنه فتسكت .

ونظر فى عينيها ، كـان وجهها غاضبا وجـادا ورقيقا فى نفس الوقت ، وخيِّل إليه أنه لمح مع ظلال الغضب ظلا رفيعا من الحب ،

لعله يبالغ قليلا . ليس الحب .. لعله الود .. ليس الود تماما ، إنما هو الاشفاق . لا . لم يكن اشفاقا مشوبا بالسخرية ، لم يكن هذا اللطف المهين الذى اعتادت الفتيات أن يرمقنه به ، كان هذا عطفا يمتزج بالود ، إنه مضطرب قليلا والأولى به أن يكف عن تحليل نظرة عينيها ويرجىء ذلك لوقت ينفرد فيه بنفسه . وعاد ينظر فى وجهها ويحس بالضعف ، وأشاحت الفتاة بوجهها عنه ، وعاد للوجه جموده ، وخيِّل إليه وهى تستدير عنه أن وجهها خرج عن جموده وأضاء كالشمس وابتسم ، لكنه يعرف أنه هو الذى ابتسم وليست هى ، لم تبتسم هى ، وظل على وجهها طابع الجد العذب الذى يميز وجه قاض لا يمكن شراء ضميره .

ونزلت الفتاة بعد محطتين ، فكر أن يلقى بنفسه خلفها ويسألها ألا تتركه ، لكنه ظل جامدا فى مكانه واكتفى بتأمل ظهرها ، ووقف الأتوبيس أخيرا عند بيته ، ونزل بتكاسل ، لم يكن يملأ وجوده غير هذه اللمحة السريعة من الود الذى سطع فى عين الفتاة وهى تسحب يده .

وفكر وهو يعطى الأتوبيس ظهره أن هذا قد يكون كل حظه من الحب ، وأنه ليس حظا رديئا على أى حال .



حادث..

كان هذا المخرج مشهورا فى العاصمة كلها بأنه واحد من أشد الرجال أناقة واهتماما بالتفصيلات الدقيقة فى مظهره ، كان يراعى انسجام اللون بين الحذاء والكرافتة ، وبين الكرافتة والشراب ، وبين منديل اليد والكوفية الحريرية ..

وكان إذا سار سبقته رائحة عطور ثمينة لا تعرف هل تصنع خصيصا له أم يستوردها ممن يصنعون عطور القصور الملكية ، وكان قد تربى فى مصر ثم سافر مع أمه وأبيه إلى فرنسا حيث درس فى أرقى المعاهد وعاد مدججا بعلمه وأناقته واهتمامه بالتفصيلات الدقيقة .. وحين نزل إلى السوق وأخرج أول أفلامه اكتسح الفيلم السوق ومكث فى دور السينما ما يقرب من عام .. وطارت شهرته كمخرج ، وقفز أجره إلى أعلى أجر ، وانهالت عليه الأفلام وصار نجما من نجوم المجتمع .

لم يزده الواقع الجديد شيئا فقد كان ممتلئا بنفسه منذ طفولته ، كان يحس أنه أرقى من سائر البشر بمراحل ، إن حساسيته للأشياء وإدراكه الداخلى للون والمذاق والرائحة كان يجعله دائما يثق فى صدق أحكامه الفنية ..

وكان هادئا ناعما طريا كأنه أنثى ولكنه فى نفس الوقت كان

يرتدى قناع النعومــة والهدوء ويخفى وراءهما قـسوة ضابط من ضباط النازى العسكريين .. لم يكن يعـرف الرحمة أو التهاون أو الشـفقـة فى عـمله .. كانـت هناك كلمة تحـوله إلى بركـان طافح بالحمم النارية .. هذه كلمة معلهش ..

لم يكن يطيق سماعها من أحد ، ولم يكن يسمح لأحد أن يقولها أمـامه ، وعـرف الجـميع عنه هــذا الحسم فكان مـســاعد المخــرج ومـسـاعـد المصــور وكل مســاعديه يـعدون كل شـىء على درجــة الكمال حتى لا يسمعوا منه ما يؤذى مشاعرهم ..

وكـــان هذا المخـــرج ينقلــب من الهـــدوء الناعس الـطرى إلى الوحشــية القــاسيــة فى ثوان ، وأحيــانا كان يشــتم ويسب بعض العــاملين معــه ، وكـان مظهره الأنيق الناعم يـبدو مـتناقضــا كل التناقض مع العبــارات الفاحشـــة المروعة التى ينطق بها وأحــيانا . كان يشــتم بأقذع الشتــائم وهو هادىء ثابت كأنه يقرأ خــبرا فى صحيفة ..

كان الكـمال فى عمــله هو مطلبه النهــائى الذى لا يناقش ، ولم يكن هناك من يجرؤ على مــناقشته .. وفى فــيلم « المأساة » الذى يخرجــه .. كان التـصوير الخــارجى يستــوجب الانتقــال إلى أحد السجــون لتصوير مشـــهدين فى عنبر من عنابره .. وفى الصـــباح المبكر انتقل الجميع إلى العنبر وعاينوه واســتقروا عليه .. استعدت الإضاءة واســتعـد المصور واســتعـد الممثلون ولبـسوا ملابـسـهم وانتظروا وصوله فى الساعة العاشرة صباحا ..

وفى الساعة العاشرة تماما كانت سيارته تقف أمام باب السجن ، وهبط السائق وفتح له الباب فنزل منه ..

كان يرتدى جاكتة لونها كالطوب الأحمر ويلبس بنطلونا لونه بيج يميل إلى الطوبى أما الشراب فكان فى لون الجاكتة ، أما الحذاء فكان فى لون البنطلون ، ومن كم يده يطل منديل حريرى لونه مثل لون الحذاء ، أما الكرافتة فكانت شمواه يضرب لونها إلى الخضرة الداكنة .. وكانت جلدة الساعة خضراء ، أما الساعة التى ارتداها يومها فكانت فى تخانة ورقة السيجارة .. وكان لونها هو لون الذهب البندقى الضارب إلى الحمرة ..

كان مجرد ظهوره يشبه ظهور باقة من الألوان المتناسقة الرائعة ، ونزل المخرج من السيارة وسار حوله أربعة كانوا ينتظرونه عند الباب .

رد التحية بهزة سريعة من رأسه ولم يمد يده إلى أحد لمصافحته ، كان يحمل معه زجاجة عطر ليغسل يده كلما اضطر إلى مصافحة أحد مهما كان هذا الأحد ، كان يقول لنفسه : ما يدرينى أن يده نظيفة ، أو كان يقول : ما يدرينى أنه غسل يديه بعد أن أكل طبقا من الفول والطعمية .

وكان العاملون معه يعرفون عنه هذه الوسوسة ، فكانوا يجنبونه مشقة المصافحة باليد ، ويكتفون برفع أيديهم بالتحية إلى رؤوسهم . سار المخرج شامخا وحوله يهرول أربعة من مساعديه .

انحنى أحد المساعدين واقترب من أذن المخرج وإن ظلت بينه وبين أذنه مسافة كافية ..

قال المساعد همسا : مش نطلع نزور مأمور السجن يا بيه ..

قال المخرج حانقا : ليه عشان إيه نطلع له .. هو ما ينزلش ليه ؟

قال المساعد الثانى وهو يتابع الحوار : برضه يصح يا بيه إن احنه نطلع له .. الراجل طيب وعمل لنا اللى ما يتعملش .. كل اللى طلبناه عمله وزيادة شوية ..

قال المخرج بهدوء : بطلوا نفاق ولحوسة .. احنه مش مساجين عشان ننافقه .. لما نخلص شغلنا نبقى نشوفه ..

سكت المساعدان تماما عند هذا الحد ..

وسار الخمسة .. المخرج فى الوسط .. والمساعدون الأربعة حوله .. وصلوا إلى العنبر الذى سيتم فيه التصوير ..

قال المخرج بالفرنسية حين نظر إلى العنبر : أولالاه ..

تأمل المكان بنظراته وأحس بانقباض ، سار فى العنبر قليلا ثم استدار نحو مساعديه وسأل : هوه ده العنبر اللى اخترتوه ..

قال أحد المساعدين : أيوه ..

قال المخرج . ما فيش عنبر تانى غير ده فى السجن ..

قال المساعد الأول : ده أحسن عنبر فى السجن كله .. البيه المأمور فضاه عشان خاطرنا .. شوف حضرتك شرح ومنور ازاى .

قال المخرج بهدوء حاسم : هو أنا حسكن فيه .. ليه بس يارب

كل اللى بيشتغلوا معايا أغبيا .. مين اللى قال لكم إنى عاوز أصور فى أحسن عنـبر ، أنا عاوز أصــور فى عنبر ضلمــه ، عاوز الناس تحس وهية بتتفرج عليه إنهم مخنوقين ..

طاف المخرج بنظراته فى العنبر والتفت إلى مساعديه .

قال : مستحيل .. العنبر ده ما ينفعش ..

قال المساعد الثـانى : فيه عنابر تانية أقل من ده وأوسـخ منه .. تحب تشوفها ..

قال المخــرج وهو يخرج منديـله من كم جاكـتته ويمـر به على أنفه : طبعا أحب أشوفــها بسرعة .. أنا اتعطلت .. عاوز أخلص كل الشوتات قبل العصر .

أسرع المساعـدون الأربعة يتقدمون وخــرجوا من باب العنبر ، سار المخرج وسطهم فى طريقهم إلى عنبر آخر ..

كان مأمــور السجن ينتظر فى مكتبه وصــول المخرج ثم عرف أنه وصل واتجه مــباشرة إلى العنــبر ، قال لنفــسه لعله سيـعاين العنبر أولا ثم يصعد إليه بعـد ذلك .. أمر بصنع فنجان من القهوة وجلس يتحدث مع أحد ضباط السجن ريثما يصل المخرج ..

سار المخــرج فى الوسط وحـوله يهرول مــساعدوه الأربــعة .. كان واضــحا أن مـزاج المخرج قد تعـكر ، إن البداية تعنى أشــياء هامة جـدا له ، وقد بدأ اليوم بالغـباء الشديد ، ولهـذا السبب راح المخرج يجمجم وهو يسير بالشتائم ..

– عنبـر منور ليـه .. ما كنا رحـنا صورنا فى الـهيلتـون والا

كل اللى بيشتغلوا معايا أغبيا .. مين اللى قال لكم إنى عاوز أصور فى أحسن عنـبر ، أنا عاوز أصــور فى عنبر ضلمــه ، عاوز الناس تحس وهية بتتفرج عليه إنهم مخنوقين ..

طاف المخرج بنظراته فى العنبر والتفت إلى مساعديه .

قال : مستحيل .. العنبر ده ما ينفعش ..

قال المساعد الثـانى : فيه عنابر تانية أقل من ده وأوسخ منه .. تحب تشوفها ..

قال المخـرج وهو يخرج منديله من كم جاكـتتة ويمـر به على أنفه : طبعا أحب أشوفـها بسرعة .. أنا اتعطلت .. عاوز أخلص كل الشوتات قبل العصر .

أسرع المساعـدون الأربعة يتقدمون وخـرجوا من باب العنبر ، سار المخرج وسطهم فى طريقهم إلى عنبر آخر ..

كان مأمـور السجن ينتظر فى مكتبه وصـول المخرج ثم عرف أنه وصل واتجه مـباشرة إلى العنـبر ، قال لنفـسه لعله سيـعاين العنبر أولا ثم يصعد إليه بعـد ذلك .. أمر بصنع فنجان من القهوة وجلس يتحدث مع أحد ضباط السجن ريثما يصل المخرج ..

سار المخـرج فى الوسط وحـوله يهرول مـساعدوه الأربـعة .. كان واضـحا أن مـزاج المخرج قد تعـكر ، إن البداية تعنى أشـياء هامة جـدا له ، وقد بدأ اليوم بالغـباء الشديد ، ولهـذا السبب راح المخرج يجمجم وهو يسير بالشتائم ..

- عنبـر منور ليـه .. ما كنا رحـنا صورنا فى الـهيلتـون والا

الميريديـان .. شوف الغبـاوة العمـيا .. الحـاجة تبقى أدام عـينهم وما يشوفوهاش ..

لم يكد المخرج يقول كلمته حتى اخـتفى تماما .. كان المساعدون الأربعة يسيـرون حوله .. اثنان على اليمين واثنـان على الشمال ، أحد الاثنين على اليمين كان يتقدم الثانى وأحد الاثنين على اليسار كان يتقـدم زميله وفى وسطهم يسير المخرج ، كـانوا قريبين منه وبعيدين عنه بمسافة كافية .. وفجأة .. اختفى المخرج تماما ..

كان المساعـدون ينظرون أمامهم ويحاذرون أن تلتـقى عيونهم بعينى المخرج حتى لا يلمح الغباء فى عيونهم وتزداد ثورته ..

وحين اختفى المخرج فـجأة .. سار المساعدون خطوات قليلة ثم نبههم صمته المفاجىء إلى اختفائه ..

توقف المساعدون الأربعـة ونظروا وسطهم فلم يجدوا المخرج ، نظروا خلفهـم فلم يجدوه .. عادوا خطوتين إلـى الخلف ففوجـئوا ببالوعة من بالوعات المجارى المفتوحة ..

وفى قلب هذه البالوعـة كان المخرج يطفو وهو يمـسك بجدران البالوعة ويصرخ ..

جـرى اثنـان من مـساعـديه على الفـور بعـد أن زر عليـهمـا الضحك .. اختـفى الاثنـان وهما يمسكان بطنيهـما من الضحك .. أما الاثنان الباقـيان فقد أسرعا إلى البـالوعة وانحنيا على الأرض ومـدا أيديهمـا إليه وأمـسكا به فى إحـدى لحظات طفوه وحـاولا إخراجه ..

الميريديـان .. شوف الغبـاوة العمـيا .. الحـاجة تبقى أدام عـينهم وما يشوفوهاش ..

لم يكد المخرج يقول كلمته حتى اخـتفى تماما .. كان المساعدون الأربعة يسيـرون حوله .. اثنان على اليمين واثنـان على الشمال ، أحد الاثنين على اليمين كان يتقدم الثانى وأحد الاثنين على اليسار كان يتقـدم زميله وفى وسطهم يسير المخرج ، كـانوا قريبين منه وبعيدين عنه بمسافة كافية .. وفجأة .. اختفى المخرج تماما ..

كان المساعـدون ينظرون أمامهم ويحاذرون أن تلتـقى عيونهم بعينى المخرج حتى لا يلمح الغباء فى عيونهم وتزداد ثورته ..

وحين اختفى المخرج فـجأة .. سار المساعدون خطوات قليلة ثم نبههم صمته المفاجىء إلى اختفائه ..

توقف المساعدون الأربعـة ونظروا وسطهم فلم يجدوا المخرج ، نظروا خلفهـم فلم يجدوه .. عادوا خطوتين إلـى الخلف ففوجـئوا ببالوعة من بالوعات المجارى المفتوحة ..

وفى قلب هذه البالوعـة كان المخرج يطفو وهو يمـسك بجدران البالوعة ويصرخ ..

جـرى اثنـان من مـساعـديه على الفـور بعـد أن زر عليـهمـا الضحك .. اختـفى الاثنـان وهما يمسكان بطنيهـما من الضحك .. أما الاثنان الباقـيان فقد أسرعا إلى البـالوعة وانحنيا على الأرض ومـدا أيديهمـا إليه وأمـسكا به فى إحـدى لحظات طفوه وحـاولا إخراجه ..

لم يستطيعوا إخراجه لأنه كان يتزحلق من بين أيديهم كأنه زئبق ..

تعالت الصيحات وبلغ مأمور السجن ما حدث .. دخل أحد العساكر حجرة المأمور وخبط كعبيه بشدة ورفع يده بالتحية العسكرية وقال للمأمور :

البيه المخرج وقع فى البلاعة يا فندم .

سأل المأمور وهو يرفع رأسه من الأوراق التى يقرأ فيها .

– بلاعة إيه ..

قال الشرطى : بلاعة المجارى يا فندم .

نهض المأمور واقفا وسأل : البلاعة من غير غطا ليه ..

قال الشرطى : أصل كان فيها تسليك يا فندم .. الغطاء بتاعها كان معووج ومش بيقفل فراح الورشة يتصلح ..

صرخ المأمور : المخرج طلع م البلاعة والا لسه جواها ..

قال الشرطى : لسه جواها يا فندم .. مش عارفين يطلعوه ..

قال مأمور السجن : هات حبل واسبقنى عا البلاعة .. أنهى بلاعة هيه ..

قال الشرطى : البلاعة اللى جنب العنبر الشرقى .

أسرع المأمور وخلفه اثنان من ضباطه وهبطوا السلالم عدوا وأسرعوا إلى البالوعة .. كان مساعدو المخرج يقفون حول البالوعة وقد تدلى بين أيديهم حبل أحضره أحد العساكر .. وكان المخرج قد أمسك الحبل وبدأوا يشدونه فى محاولة لإخراجه .

حين وصل المأمور كـان نصف المخرج خارج البلاعـة ونصفه داخلها ، وانحنى الشرطى عليه وحملوه خارج البلاعة ..

أمر مأمور السجن بإحضار فوطة ودورق من الماء ..

لم يكد المخرج يجلس على الأرض خـارج البالوعة حـتى مسح يده الملوثة بوجهه وأدلى بأول تصـريح صحفى له منذ وصل إلى السجن .

قال بقنوط بالغ : أنا أستاهل اللى طلعت مخرج ..

ثم صرخ بعد ذلك فى مساعديه : كلونيا .. عاوز كلونيا ..

جففوا وجهه بالـفوطة التى أحضروها له من السجن .. وتأمل هو الفوطة ونظر فيها وقـال : الفوطة دى مش نضيفة .. هاتوا لى فوطة تانية بسرعة .. كان هناك اثنان من مساعديه .. أما مساعداه الباقيان قد اختفيا كأنما انشقت الأرض عنهما وابتلعتهما .

كانا يقفان فى العنبر الذى رفض المخـرج التصوير فيه ، وكانا قد أصيبا بنوبة من الضحك ..

كان أحدهمـا يستند على الحائط وهو يضحك أمـا الثانى فكان يضـحك وهو يمسك بطنه ، ووسط نـوبة الضحك همس للثـانى : ضرورى نروح له بسـرعة .. خلص ضحك عشـان نروح له ، قال الأول وهو يجلـس على الأرض بعـد أن سـابت مــفــاصله من الضحك : أنا مش عارف حيقول إيه والا حيعمل إيه ..

وسط دائرة من رجال الشـرطة ومساعـديه جلس المخرج على الأرض .. كان مبللا بمياه المجارى كأنه إسفنجة ..

وكان لا يتوقف عن الكلام ..

قال بعد تصريحه النادم عن مهنته كمخرج ..

- فين محمود وحسن ..

كان محمـود وحسن هما مساعداه اللذان هربا حين هاجمـتهما نوبة الضحك ..

نظر المخـرج حوله وصـوب نظراته إلى السـماء وقـال بلهجـة عاتبة : أنا عـملت إيه يا رب عشان أقع فى البلاعـة .. مسح صدر جاكتته الأنيقة فتلوثت يداه ..

عـاد ينظر إلى السـمـاء ويقـول : ليـه يـا رب أنا اللى أقع فى البلاعـة .. ليه مـا وقعش فـيهـا حسن .. والا مـحمـود .. لو كان الاتنين وقعـوا فى البلاعة وفطسوا فـيها ما كانش مـهم .. ضحك المأمور، وقال للمخرج : اتفضل فى أوضتى عشان تغير هدومك ..

قال المخرج حانقا : أغير هدومى .. أنا عاوز أغير جلدى .. فين الكلونيا ..

وصل محمود وحسن وهما يحملان زجاجة الكلونيا التى كانت فى سيارة المخرج ..

نظر إليهـما المخرج حـانقا وبدأ سـيل من الشـتـائم يخرج من

- كنتـو ماشـيين جنبى زى العـمى .. ما حـدش فيكو شـاف البلاعة عشان يقول لى عليها ..

فتح محمود زجاجة الكـلونيا وبدأ ينثرها على وجهه واختلطت

رائحـة العطر بالرائحة الصـادرة من آثار السـقطة فى البالوعـة ، وبدأ المخرج يخلع ملابسه .

صرخ فى أحـد مسـاعديه أن يسـرع إلى السوق ويشـترى له ملابس كـاملة .. وصرخ فى مسـاعد آخر أن يحـضر له خمـسين زجاجـة من الكلونيا .. وجـلس يندب حظه فى الفتـرات القصـيرة التى كانت أوامره تصدر فيها ..

قال المخرج وهو يخلع جاكتته ويرميها جواره ..

- أنا مش عارف حقدر أعيش بعـد القرف ده والا حموت .. ليه بس يا رب .. أنا عـملت إيه فـى دنيتـى .. ليـه بس أنا اتولدت فى البلد دى .. ليه والدى قابـل والدتى فى مصر .. وليه حبـها ، وليه هيه حبته .. وليه عشان همه حبوا بعض جيت أنا الدنيا دى ..

لو كنت اتـولدت فى سـويسـرا .. والا فـى باريس .. والا فى فيينا .. مش كـان زمان عندى مساعدين بنى آدمـين .. كان زمان مـعايـا ناس أذكيـا مش مواشى .. دول مـاشـيـين جنبى ومش شايفين ..

ليه محدش فيـهم هوه اللى وقع .. أنا ذنبى إيه عشان اتولد فى الزمن ده واشتغل مع الناس دى .. ليه يا رب وأنا عـبقرى أشتغل مع حيوانات .. حاول المـأمور عبثا تهدئته وعـرض عليه أن ينتقل إلى غرفتـه ليستبـدل ملابسه ويستـحم ، ولكن المخرج راح يخلع ملابسـه وهو لم يزل يردد شكواه عن سوء طالعـه ومرارة بخـته وقلة حظه ..

قال المأمـور وهو يواسيه : معلهش .. الحـمد لله اللى جت على كده ..

نهض المخرج واقـفا وكأنما ضـغطت كلمة مـعلهش على الجزء الملتهب فى أعصابه .. نهض واقفا وبدأ يصرخ ..

– إيه معلـهش دى .. أموت أنا وتقول لى مـعلهش .. أروح فى داهية وتقول لى معلهش ..

كل مصيبة تحصل لنا تقولوا لنا بعدها معلهش ..

أنا لا يمكن أقبل الكلمة دى ..

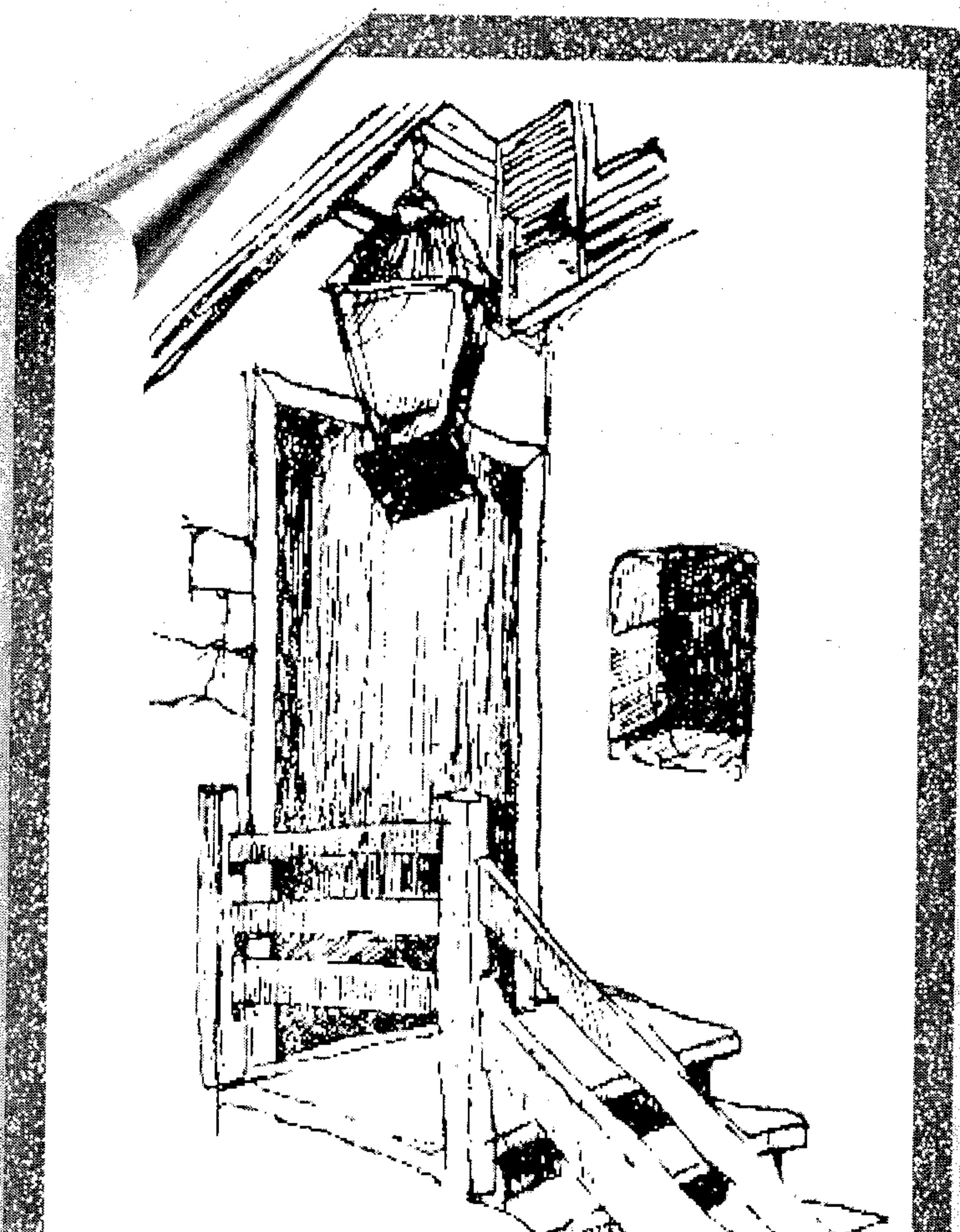
وكلما حاولوا تهدئته زاد هياجه..

وبدأت دوامـة الضـحك تنتـشـر من حـولـه إلى المحـيطين به، وانصرف أكثـر من واحد حوله ليضحك على حـريته ، وبعد ثوان قليلة كـان خبـر سـقوط المخـرج فى البالـوعة قـد انتشـر وسط المساجين ..

وبدأ أحـد المسـاجين يـضحك ، وانتـقلت عـدوى الضـحك من مـسجـون إلى مـسـجون ، بـعد دقـائق كـان السـجن كله يضج بضحكات هائلة ..

وتحول السجن كله إلى قهقهة واحدة لا تعرف من أين تبدأ ولا إلى أين تنتهى ..

وفى الممر الذى يقع جـوار البالوعة كان المخـرج يقف عاريا إلا من هذا الثوب الفضفاض الذى تصنعه قهقهات المساجين .



١٢ ميزة فى الشقة الجديدة

يجب أن نقدم أبطال قصتنا إلى القارىء .. بطل القصة هو فارس بك .. والضـحـيـة .. هو سـيـد أفندى .. وهـناك اثنان من الشهود .. الجميع يتمتـعون بصحة جيدة ، والدليل هو هذا الحوار الصحى الذى يدور بينهم ..

فى بدء الجلسة الخطيرة فهم سيد أفندى أن فارس بك سيبنى شقة جديدة فى عمارته القديمة .. ولما كان سيد أفندى ، بتعبير العامة ، قد داخ بحثا عن شقة .. فإن معاملته تغيرت على الفور حين عرف أن فارس بك .. هذا الصديق الذى يجلس معهم أحيانا فى المقهى .. هو نفسه مالك الشقة الجديدة ..

لاحظ سيد أفندى وهو يكلم فارس بك أن صوته يرق ويرفع .. لاحظ أن جسده ينحنى انحناءة عفوية وهو يحدثه .. وآه لو أخرج فارس بك سيجارة .. إن سيد أفندى يتحول إلى ولاعة على الفور .. إنه يسرع بعود الثقاب المشتعل نحو فم فارس بك وهو يحاذر أن تمس النار طرف شاربه الأبيض .

سأل فارس بك : إنت بتسأل على شقة ليه يا سيد أفندى ؟. إنت مش ساكن ..؟

قال سيد أفندى : ساكن فى الجحيم يا فارس بك ، وربنا اللى

عالم .. بقى لى ١٥ سنة ما بنامش الضهر ولا بالليل .. أوضتين وصالة ، سيادتك عارف إنى متجوز وعندى ولدين وبنتين ومعايا والدتى وأختى المطلقة .. مراتى ست شرسة شوية وعشان كده واخده أوضة ، والباقى كله له أوضه ..

ضحك فارس بك ضحكة هادئة وقورة كضحك الأباطرة والملوك .. وقال من طرف فمه :

- لا .. إنت يلزمك شقة فعلا ..

فهم سيد أفندى أن فارس بك يلوح له بالشقة .. ملأه التفاؤل فجأة فسأل :

- حتخلص امتى يا فارس بك ..؟

حين جاءه الجواب أنها ستنتهى بعد ستة أشهر .. أحس أنه سينتقل إلى الجنة بعد ستة أشهر ..

شرع صاحب العمارة فى العمل فجأة فقال: عاوز ورقة وقلم .. اتنتر سيد أفندى وخلق من تحت الأرض ورقة وقلما .. وساعتئذ شرع فارس بك فى رسم صورة الشقة الجديدة والحديث عن مزاياها ..

قال : تفتح الباب تلاقى فى وشك الحمام .. العمارات الجديدة كده كلها ، حتقول لى ليه ؟ .. إنت بعد ما تركب المواصلات بتبقى عايز تعيط .. أول ما تخش البيت ممكن تدخل الحمام .. تعيط وتغسل وشك .. دى أول ميزة .. فيها ٣ أوض و٣ حمامات .. عشان كل واحد يعيط لوحده .. ما حدش يشوشر على حد .. دى

تانى ميزة .. انـتقل فارس بك من الحديث عن الشـقة إلى الحديث عن السطـوح ، مـارا بالصـالـة مـرور الكرام ، الأمــر الذى أكـد للمستأجر أنه ليست هناك صالة... تساءل سيد أفندى عن الصالة.

قال فارس بك : الصالة دى حاجـة بورجوازية .. تعمل بها إيه الصالة ؟

كان يتـحدث بشخط .. الأمـر الذى أقنع سيد أفندى أن مـجرد ذكر الصالة أو الاشارة إليها أمر مستهجن تماما بعد هذه المقدمة .. بدأ فارس بك يتحدث عن مزايا الشقة الجديدة .

قال : الشـقة فى مكان هادىء جدا ومنعـزل جدا .. يستـحسن تشـيل معـاك سلاح وانت مـروح بالليل .. مش عشـان حاجـة .. الواحد يعمل اللى عليه والباقى على ربنا .. الهدوء ده ميزة كبيرة ، سكت فارس بك ثم عاد يقـول : الميزة الثالثة للشـقة الجديدة ، أن طفح المجارى ما بيحصلهاش فى السنة غير ٩ شـهور .. دى نسبة كويسة قـوى .. يمكن احنه تالت بلد فى العالم فيـه النسبة دى .. فيه بلاد طفح المجارى بيستمر فيها ١٠شـهور وأحيانا ١١ شـهر ..

قال سيد أفندى : بس مش كتير ٩ شـهور يا فارس بك ؟

قال فارس بك : لا مش كـتير .. يا دوبك يا سيـد أفندى .. فيه بير مـخروم فى الشـارع .. بيـر مجارى .. كـان انخرم مننا واحنا بنعمل توصيلة المجارى .. نعم له إيه البير راخر .. ؟

قال سيد أفندى وهو يتضـاءل فى كـرسيه : ولا نعمل له حاجة يا بك ..

قال البيك وهو يشعل سيجارة :

الميزة الرابعة فى الشقة ، إن فيه حنفية فى الجنينة ..

قال سيد أفندى : حنفية إيه يا فارس بك ؟

قال فارس بك : حنفية ميه .. حتكون حنفية عصير قصب ؟

قال سيد أفندى: طيب إيه الميزة يعنى ولا مؤاخذة فى السؤال ..؟

قال فـارس بك : الميزة إنك تملا منهـا لما الميه تنقطع .. العـمارة فى حى أرستقراطى وجنـبها حى شعبى .. حى مافيـهوش ميه .. فـالناس بتيـجى م الحى تقف طابور عـشان تملا بيـعملوا شـوية زيطة صغـيرة .. اكتشـفت إن البواب بيبـيع الميه تفتكر بيـبيع فى اليوم بكام ؟.. تفتكر بكام ..؟

كان السؤال الأخير موجها لسيد أفندى ..

قال سيد أفندى : مش عارف والله يا بيه بيبيع بكام ..

قـال فارس بك : باتنين جنيـه .. ويقـولوا أصحـاب العمـارات بتكسب .. احنه غلابة يا سيد أفندى .. اتنين جنيه فى اليوم .. قلت له نقسم المبلغ سوا يا أخرب بيتك ..

الميزة الخـامسة فـى الشقة . إن النامـوس فى المنطقة مـترابط اجتماعيا .. ما بيطرش غير جماعات جماعات .. يعنى مش ناموس مخادع .. لأ .. مش ناموس غـادر .. لأ .. ناموس واضح .. صريح .. فيه استقامة .. بيهجم عليك جيش منه .. ممكن تستعد له كويس وتقاومه .. مش حتحس أبدا بالخمول فى الشقة الجديدة .. حيبقى فيه تحدى باستـمرار .. حتبقى أعصابك دائما ملتهـبة وصاحية ..

نيتشه قال عيشوا فى خطر .. أنـا عامل شقة كان مفروض يعيش فيـها نيـتشـه .. لكن معلهش . الميـزة السادسـة في الشقـة ، هيه التـجديد .. حـتحـس دايما إنك عـايش فى تجـديد .. مافـيش ملل مطلقا.. عايش فى تحديات مستمرة ..

فـيه بلكونـه وقعت فى الدور الثـانى وبنينا مطرحـهـا بلكونة أوسع ..

تساءل سيد أفندى : بلكونة وقعت إزاى ..؟

قال فارس بك .. وقـعت زى ما بتقع أى بلكونة .. طراخ راحت واقعة ع الأرض ، أعمل إيه للساكن .. فضل واقف فى البلكونة من ٣ الضـهر للساعة ٩ بالليل تخيل واحد يقف فى بلكونة ٦ ساعات.. ليه ؟.. عشان إيه ؟.. دى لو بلكونة حديد كانت تقع .

الميزة السابعة فى العـمارة بوجه عام أن فيها شقـة مشبوهة . أنا ما أعرفش بيحصل فيها إيه .. لكن أنا حصل عندى شك فيها .. ستـات كتيـر بتدخل .. وستات كـتير بتـخرج .. ضربت تليـفون لبوليس الآداب .. حاليا بوليس الآداب مراقب العمارة كلها ..

قال سيد أفندى : بس لو سمـحت تشرح لى سعادتك الميزة فى دى إيه ؟

قـال فارس بك : الله .. جـرى إيه يا سـيد أفندى ؟ .. أنت ضـد الأخلاق والا إيه ؟.. مفروض كلنا نسـاعد بوليس الآداب مفروض إن الواحد يساهم فى نصرة الفضيلة والهجوم على الرذيلة .. إنت يزعلك فى إيه أن شقة فى العمارة تكون متراقبة ؟ انت مش راجل مستقيم ؟

قال سيد أفندى : أيوه يا بيه ..

قال فارس بك : خلاص .. يبقى مـالكش دعوة .. تخاف ليه من بوليس الآداب ؟

الميزة الثـامنة فى العمـارة ، هيه البـواب .. بواب أسد .. راجل طيب للغاية .. صـحيح كان شقى زمان لكن ربنـا تاب عليه . كان دبح زمان ولاد عـمه التـلاتة .. خد فـيهم مـؤبد .. هرب ٢٥ سنة وبعديها ظهر ..

اشتغل عندى بواب .. راجل مسـالم ولطيف جدا .. شايل مدفع رشاش صـغيـر عشان يحرس العمارة .. ما اعـرفش مرخصه والا لأ.. ما اعـتقدش أن أى حـد يقدر يطلع رخصـة لمدفع .. يعنى هوه بواب وفى نفس الوقت حارس مسلح ..

الميزة التـاسعة فى العمـارة أن فيه قطر بيمـر جنبيها .. بيـهز العمارة كلهـا ، كأن واحد بيمرجـحك وانت لسه طفل ، يا سلام ع الطفولة يا سيد أفندى .. أد إيه احساس جميل ..

قال سـيد أفندى : فـعلا إحسـاس جمـيل .. يا ترى لسه فـيه ميزات فى العمارة ؟

قال فارس بك : طبـعا .. الميزة العاشرة إنك حتـشوف طيارات طول النهـار ، العـمـارة جنب مطار بيـتـمـرنوا فـيـه ع الطيـران الشراعى.. يـعنى حتشـوف قطر .. حنفيـة .. وطيارة كـمان .. أنا أنصح بالبـعـد عن البلكونات .. لأن فـيـه مرة طيـارة وقـعت فى

بلكونة .. معلهش .. حادث عرضى لا يمكن الأخذ به ولا القياس عليه ..

تساءل سيد أفندى : الشارع اللى فيه العمارة مسفلت ..؟

قال فارس بك : ثلثه مسفلت والتلتين تراب لطيف ممكن ينزرع خضار أو فواكه .. ممكن تاخذ حتة م الشارع تزرعها وتستفيد ..

الميزة نمرة حداشر ، إن فيه تحت العمارة جنينة .. هية صحيح جنينة عظيمة ، بس فيها شوية فحت .. فيه راجل أثرى ساكن فى الدور الثانى .. معتقد أن الجنينة فيها آثار فرعونية . فيه شوية عمليات تنقيب خفيفة فى الجنينة ، مافيش آثار ظهرت لكن ممكن تظهر ، والعمارة تشتهر ، والجرايد تاخد لكم صور والإذاعة تعمل لكم أحاديث .. يعنى حتبقوا نجوم يا سيد أفندى .. حتبقى نجم ..

ابتسم سيد أفندى حين تصور نفسه أمام عدسات الإذاعة والصحافة ..

قال فارس بك : الميزة رقم ١٢ إن فيه جنبك مقابر .. تبقى ساكن فى الدنيا وشايف الآخرة .. يعنى شقة وموعظة .. لم يسمع سيد أفندى بقية الكلمات .

كان يحس بدوار يشبه دوار البحر .. وكان حلقة جافا ، بينما ساقاه ترتعشان ورجح أنه قد أصيب ببرد ..

انتبه على صوت فارس بك وهو يقول : ١٢ ميزة يا عم .. لو حسبنا الميزة الواحدة بخمسين جنيه يبقى عاوزين خلو ٦٠٠ جنيه .. الميزة الواحدة بخمسين جنيه .. يا بلاش .. النهاردة

الميـزات سـعرها نار .. شـوف الحـديد بكام .. والخـشب بكام .. ما تقوليش السوق السودا والبيضا .. شوف انت الميزة الواحدة لما تكون بخمسين جنيه .. أخسر فيـها كام أنا .. أجيبها بكام وأنقلها بكام وأخـسـر فـيهـا كـام .. رد يا سـيـد أفندى .. إنت فـاهم أن الـ ٦٠٠ جنيـه دول مبلغ . أنا حـأجـر لك الشقـة بلاش .. كأنهـا بلاش .. خسران فيها أكـيد .. الايجار تلاتين جنيه زى أخواتها .. قلت إيه يا سيد أفندى .. فـيه ألف واحد عايزينها وجـاى لى عليها وسايط جامدة .. قلت إيه يا سيد أفندى ..؟

انفجر سيد أفندى فى البكاء وهو يقول :

– قلت لا إله إلا الله يا فارس بك .

قال فارس بك : اتفقنا .. تجيب ٦٠٠ جـنيه ، وشهرين تأمين ، وشـهرين مقدم ، وشـهرين مؤخر ، وشـهرين ضمان ..

ألف مبروك يا سيد أفندى ..



أحفاد خوفو

لـو كـانت هناك مـسابقـات عـالمية فى حلـل المحشى ، لفـازت السيدة عديلة بالجائزة الأولى بغير جدال .. إنها قديرة على صنع حلة من المحشى ، تتـرك من يأكلها نصف مستـيقظ ونصف نائم ، نصف حى ونصف ميت ، ولو قامت الحرب العالمية الثالثة وتحطمت الكـرة الأرضية من القنابل الذرية فسوف يجلس من أكل حلة المحـشى التى طهتـها السـيدة عديـلة ، سوف يجلس مبتسما غير واع بما حدث ، نصف سعيد ، ونصف مندهش نصف خـائر القـوى ، ونصف كامل النـشاط .. سـوف يحس أن الدنيا كلهـا تتثـاءب وتتمدد وتنام على جنبـها ببـساطة . وتعتـبر السيدة عـديلة أن أسلوبها فى صناعة المحـشى سر من الأسرار ، إنهـا لا تقول لأحـد أبدا عن كمـيـات جوز الطيب أو التـوابل التى تضعـها فى الأرز .. وإمـعانا فى السـرية .. واحتيـاطا للظروف ، لا تكتب المقادير فى ورقـة .. ربما ضاعت الورقة .. ربما اكتشـفها أو سرقها أحد ..

كل شـىء فى رأسها .. ولو حدث ـ لا قدر الله ـ أن ماتت السيدة عديلة .. فسوف يموت معها سر من أسرار الطهى إلى الأبد .

قالت السـيدة عديلة لزوجها يـوم الخميس ، بعد أن انتـهيا من

طعام الغداء ، وقبل أن ينهضا عن المائدة :

- نفسنا نخرج يا عنتر .. نفسنا نتفسح .. البلد كلها بتخرج يا خويا .. العيانين بيخرجوا يغيروا هوا ويعدلوا ضهرهم ما عدانا احنه .. قاعدين ناكل وننام ونتخن ، بكره العيد ونفسنا نخرج نتفسح .

رفع عنتر رأسه ، وكان مغفيا اغفاءة قصيرة . رمق زوجته وزأر :

- ناولينى صباعين المحشى اللى هناك دول .

يعرف عم عنتر أن الطبق يستغفر للاعقه ، وهو يريد أن يستغفر له الطبق .. ثم أن كرشه يحول بينه وبين أن يدخل فى المائدة كما يجب ، والطبق بعيد عنه بمسافة أخرى ، وهو يقيس بنظراته المسافة فيما لو مد ذراعه ، فيقول لنفسه إنه لن يطول قطعة المحشى ، ولهذا فكر أن يأمر زوجته بإحضارها غير أنه أغفى قليلا ، فلما أفاق كانت قطعة المحشى أول شىء وقع عليه بصره ، فأصدر أوامره بشأنها .

قالت زوجته وهى تنهض عن المائدة وتنحنى وتقدم إليه صباع المحشى :

- م السنة اللى فاتت وأنا نفسى أخرج .. فاكر لما اشتريت جزمة البلاج .. الجزمة الكاوتش اللى فيها زيق أزرق وقلنا نسافر اسكندرية نتفسح ، ولا سافرنا ولا اتفسحنا .. شوف بقيت تخن إيه ..

انتصبت عديلة واقفة فى الصالة ..

لم تكد تفرد نفسها حتى فوجىء عنتر بأن نصف الصالة قد اختفى وراء جرمها العظيم .. ضاعت تماما نصف الصورة حين وقفت .. لم يعد هناك غير نصف المنضدة ونصف البوفيه ونصف الحائط .. جلست عديلة فامتد الأفق الضيق واستطال وعاد لحجمه الطبيعى . انشأت عديلة تتحدث .. قالت لزوجها :

- كل هدومى باظت وبنحشر فيها حشر ، وأنت كمان يا عنتر .. شوف زدت أد إيه .. كفاية قعدتنا بقة فى البيت ، من يوم ما طلعت ع المعاش لا شفتك خرجت ولا دخلت .. غير بس قعدتك فى البلكونة .. تعال نتفسح بكره والنبى يا سى عنتر .. ربنا يخليك ويطول عمرك .. وإلا عايزنى أخرج لوحدى زى السواح ..

زمجر عم عنتر :

- طيب .. طيب .. خلاص ..

نهض من المائدة متجاهلا عبارتها الأخيرة ، وغسل يديه وجلس على الأريكة ينتظر شاى الغداء .. غير أنه لم يلبث أن نام وارتفع شخيره ..

قالت زوجته وهى تأمر الخادمة أن تحمل بقايا الطعام :

- إلا عمرك ما كلمتنى عن الهرم يا عنتر .. يكونوا بنوه .. ليه.. الواد ابن اختى بيقول إنه كان جبانة عشان نفر واحد يندفن فيها..

لم يسمع عنتر ما قالته زوجته ، كان قد دخل مياه النوم

الغريقة منذ لحظات .

انتهى تنظيف المائدة ، فخفت السيدة عديلة إلى العمل استعدادا لفسحة الغد .. أرسلت الخادمة إلى السوق لتشترى لحما للكفتة ، وعلبة من السردين لفتح الشهية ، ونصف كيلو من البسبوسة كحلوى ، وطماطم للسلطة وخيارا للتسلية أثناء الطريق .. ونهضت إلى البوتاجاز ، حيث سلقت ١٤ بيضة ، وملأت علبة صغيرة ببعض المش ، وقطعت جزءا من اللحم البارد فى الثلاجة .. وأضافت إلى ذلك ستة أرغفة من الخبز ، ووضعت هذا كله ، بعد أن انتهت من إعداده ، فى كيس ضخم من القماش . حشرت فى الكيس ثلاث زجاجات من الماء ووابور سبرتو وسجادة صغيرة ليجلسا عليها ، وشاى وسكر وملابس داخلية ووضعت زوجين من الجوارب وصابونا ونكاشة أسنان وشوكات وسكاكين وصحنين فارغين وعلبة اسبرين وصبغة يود ولفة من القطن وبودرة .. غير أنها نسيت أن تضع دواء عم عنتر .. وكلما تورم الكيس شدته لها الخادمة من جوانبه ، وقامت هى مستخدمة كل ثقلها بالضغط عليه من وسطه حتى يمكن امساكه من يديه المبتعدتين .

قالت عديلة لزوجها قبل أن يصعدا إلى الفراش :

– اوعى تنسى بكره .. أنا استعديت .. حصحيك بدرى .

– بدرى يعنى الساعة كام ؟

– يعنى سبعة .

– سبعة ليه عشان إيه ، إحنه فى الجيش .. خليها تسعة .

– طيب .

– والا تسعة ونص ..

– نخرج نتفسح وننبسط زى مخاليق ربنا .. ده الكلاب بتتفسح ..

– أنا عارف بس لازمته إيه .. من خرج من داره اتقل مقداره.. لزمتها إيه الشحططة دى ..

– نتفسح يا عنتر .. نشوف الدنيا ..

كان عم عنتر قد رقد على جنبه ونام . لم تعرف زوجته هل نام قبل أن يمس رأسه المخدة أم بعد ذلك مباشرة .. إنها تسمعه يشخر .. لم تستطع أن تنام من انفعال الفرح فى البداية ، استولت على لبها المفاتن التى يدخرها لها الغد . الفسحة ، الهرم والصحراء ، والهواء والأكل فى العراء والفرجة على الناس والخواجات .

فتح عم عنتر عينيه وسأل زوجته فجأة :

– عديلة ..

قالت بلهفة :

– مالك يا خويا ؟

قال :

– إحنه حناكل إيه بكره ؟

قالت وهى تبتسم :

- محضرالك أشكال وألوان .. ما تحلمش بيهم ..

قال :

- كان نفسنا ناكل فسيخ ..

- هو الدكتور مش مانعك م الفسيخ ؟

- طيب هاتى لنا ولو علبة سردين نفتح نفسنا بيها ..

- جبت يا خويا جبت ..

وعاد عم عنتر يشخر .. وعادت هى إلى التفكير فى الغد .

كانت منفعلة إلى الحد الذى لم تنم فيه إلا بعد ثلاث دقائق .. وبدأ شخيرهما يرتفع معا ..

كان هو قد سبقها إلى الشخير .. ورغم ذلك كانت ايقاعاتها أسرع منه .. وعلى العموم ، كانت الكتلتان النائمتان فى الفراش تغطان غطيطا عاليا .. وكان لعنتر ثلاثة كروش .. واحد عند رقبته.. وواحد عند ذقنه .. وواحد يمتد من بداية صدره وينتهى ببطنه ، وكان الكرش الثالث أعظمها جميعا ، أما زوجته فكانت كتل اللحم تغطى جسدها كله ، بحيث يصعب تمييز بدايات الكروش من نهاياتها .

وكانت الملة الحديدية للفراش تنخفض وترتفع بشكل غير منتظم مع شخير النائمين وحركتهما ..

وطلع الصباح أخيرا ..

أيقظتهما الخادمة .. أحس عم عنتر بما ينتظره ، فتأوه ومضى إلى الحمام ليغسل وجهه .. وعندما رأى الكيس الرهيب الذى

أعدته زوجته أوشك أن يقع أرضا ، ولكنه تماسك .. ثم راح وقد استولت عليه سيماء من يساق إلى الذبح ، راح يحشر نفسه فى بنطلونه القديم المتبقى من أيام المصلحة الحكومية .. وقد اتضح أن البنطلون ضيق ولا يمكن تزرير الزرارين الأخيرين فيه ، وعليه فلابد من ربطه بدبابيس المشبك .. ثم جلس يتأوه على الكنبة ريثما تنتهى زوجته من ارتداء ملابسها .. وكانت الزوجة قد اعتزمت أن تخرج حرة طليقة بغير حزام البطن .. غير أنها اقتنعت وهى تخطو بفستان نومها فى صالة الدار أن بطنها لا يمشى متناسقا مع أقدامها ، وإنما يندلق إلى الأمام .. فعادت إلى الغرفة وحشرت نفسها فى الكورسيه .. وعاونت زوجها فى تحميل الكيس للخادمة .. ثم اطمأنت على كل شىء وسارا فى الطريق نحو الأوتوبيس ..

الزوجة نشيطة خفيفة فى المقدمة .. والزوج يجرجر قدميه وراءها .. والشغالة تنحنى تحت ثقل الكيس الهائل وتمشى فى الخلف .

كان الأوتوبيس نصف مزدحم ، فلم يجلس غير الست عديلة ووقف الزوج والشغالة .. ثم خلا أحد المقاعد فجلس الزوج ، وبقيت الخادمة واقفة .

نزلا فى المحطة الأخيرة .. لم تكد قدم الست عديلة تلمس أرض الشارع حتى قالت للشغالة :

– ادى البيه يشيل الكيس ..

ألقت الشغـالة بالكيس لعم عنتر الذى اهتـز تحت ثقله .. رفعت عديلة يدها وضربت الشغالة قلما على وجهها وهى تقول :

– عـشان تبـقى تقـفى على بعـضك فى الأوتوبيس .. عـينيك مـا نزلتش من ع الجـدع اللى واقـف جنبك .. قلة أدب .. خـدى الكيس من البيه تانى .

عادت تحمل الكيس وسارت كأن شـيئا لم يكن .. قال عم عنتر وهو يدمدم :

– إيه النكد ده .. خليه للبيت الضرب والرقع ده .

– عـشـان تتـربى .. دى أمـانة فى رقـبـتـنا .. انت لا بتـربى ولا بتشوف .

ها هو الهرم أخيرا ..

بدآ يصـعـدان المطلع المرتفع الذى يؤدى للهـرم .. قـالت الست عديلة وهى تقف وتلتقط أنفاسها :

– ما شاء الله .. إيه ده كله .. بقى ده جبانة .. أمال بيوتهم كان شكلها إيه لما ده مدفن ..؟

غمـغم عنتر شـيئـا غيـر مفـهوم وهو يلتـقط أنفاسـه ، وعادا يصعدان .. صرخت الست عديلة :

– الحقنى يا سى عنتر .

– حصل إيه ؟

– حمالة القميص انقطعت ..

– سليـمة .. أنا عرق فى رقـبتى حـينقطع م التعب .. عـايزين نطلع عشان نرتاح فوق ..

– نطلع إيه ، أنـا قلبى انقطع .. نسـتـريح شـويـة فى السكة ، جلسا على السور الواطىء وراحا يلهثان من التعب .

أخرجت عديلـة الخيار من الكيس وبدأت تقرقش .. مـرت بهما قافلة من السـياح الذين يركبون الجمـال .. من بينهم امرأة ترتدى الميكروجيب .. كانت سيقانها فى مثل بياض الشمع المسقى بالدم.. وقفت عديلة وأشارت بيدها للمرأة وهى تقول :

– بص يا عنتـر بص .. يا نهار أسود ومـهبب .. شـوف الولية معرية روحها إزاى .. اللى ما بتختشيش .

قال عنتر وهو يدير وجهه :

– بس ما تشاوريش عليها نزلى صباعك عيب .. دول ضيوف .

قالت : ضـيوف الشـوم واللوم .. يا دى الفضيـحة والجـرسة يا ناس .. يا ولية غطى وراكك .

وقف السيـاح يتأملون المنظر باستلطاف شـديد .. لم يكن يبدو على أحد منهم أنه يفـهم شيئـا من المنولوج .. غير أنهم فهـموا أن الحديث يجـرى عنهم .. ولهذا توقفـوا .. ابتسمـوا للست عديلة .. وابتسمت المرأة العارية لها ولوحت لها بيدها .

فقالت عديلة والدم يتصاعد فى رأسها وقد بدأت تغضب :

– انتى بتضحكى كمان .. والـنبى إنك قادرة وفاجرة .. يا ولية اختشى .. دى بتضـحك زى المعاتيه من غير ما حـد يكلمها يا سى عنتر ..

ثم أشاحت بيدها وقطبت وجهها ، وقالت :

- دى زى ما تكون مهبولة ولا دارية بروحها ..

ومر الموكب ، بغير أن تفهم السيدة الأجنبية السر فى اهتياج عديلة وغضبها المفاجىء بعد اللطف الذى بدا عليها .

ناولت عديلة زوجها خيارة وهى تقول :

- خد طرى على قلبك .. ده مين اللى بنى الهرم ده ..

الواد ابن أختى قال لى اسمه ونسيته ..

قال عم عنتر وهو حانق : خوفو .

قالت عديلة :

- هوه المخفى اللى قال لى عليه .. كان كافر بصحيح يا سى عنتر ..؟

- الله أعلم ..

- برضه أنت تلاقيك عارف بس مخبى عليه .

- يا ستى كافر ولا مسلم انتى ح تناسبيه ، أهو بناه وخلاص.

- وبناه فى كام سنة ؟

- فى كتير .

- تقوم يا خويا ولا نرتاح ؟

- ادى احنا بنرتاح .

- حقه اللى يعيش يا ما يشوف .. وكان شغلته إيه صاحب الجبانة دى ؟

- كان بيشتغل ملك .

- اكمنه .. تاخد لقمة تسند طولك بيها ؟

- هاتى .

وأخرجا قلب الكيس ، وبدآ يأكلان السردين لفتح الشهية ، انفتحت شهيتهما للشرب بعد الأكل ، وأخرجت عديلة زجاجة الماء التى لم تلبث أن اختفت فى جوف عم عنتر وتحولت على الفور إلى عرق غزير يتصبب على وجهه ، ويشر من صدره ويبلل كرشه .

وعادا يصعدان ..

بعد الخطوة الثالثة صرخت عديلة :

- سى عنتر ..

- خضتينى ، إيه جرى ..؟

- قميصى وقع ..

- يعنى حيقع فى بحر .. أهو وقع بين رجليكى .. أنا اتشاءمت م الخروجة دى من امبارح .

- تعالى يا بت دارى على لما ألم روحى .

وانحنت عديلة والتقطت قميصها الداخلى الأسود من بين قدميها وحشرته فى الكيس .. وعادا يحاولان الصعود .. انتفخت عروق رقبته ، وأحس أن فى رقبته عرقا قد اشتعل فوقف أما هى ، فالتصق لسانها بسقف حلقها وطقطق شىء فى جسدها ، فأحاطت بطنها بكلتا يديها ، وتوقفت وهى تصرخ :

- سى عنتر ..

- ربنا يا خدنى ويريحنى .. فيه إيه تانى ..؟

– حزام البطن انقطع ..

– يا دى المصيبة .. مش حنطلع الهرم فى سنتنا ..

– طب بس اداری فى حتة أما أعدل روحى .. فيه شجرة هناك تحتها ضل .. تعالى نقعد تحتها .

– احنه بنطلع والا بننزل ..

– بس نرتاح ونبقى نطلع .. روحى حتطلع يا خويا .

عادا يهبطان ما ساراه بسرعة ساعد عليها انحدار الأرض . فرشا السجادة تحت الشجرة وجلسا فى الظل .. بعد دقائق من التقاط الأنفاس .. قالت عديلة :

– وهو كان ضرورى يشعلقه فوق كده هناك .. ربنا يتعب قلبه زى ما تعب قلبنا .

– اللى حصل بقه ..

– هوه إيه يعنى الهرم .. ده شوية طوب لا راحوا ولا جم ..

– القصد .

– سى عنتر .. الحق يا سى عنتر ..

نهضت عديلة ورقعت بالصوت فجأة ..

نهض عنتر وهو يهتز ويكاد يسقط صارخا :

– فيه إيه ..؟

كانت عديلة تحدق هناك فى حجارة الهرم ..

– الحق الولية العريانة طلعت الهرم وحترمى روحها من فوقه.. الحقوها يا ناس .. الحقها يا سى عنتر ..

نظر عنتر هناك حيث تمد عديلة يدها ، فاكتشف أن سرب الخواجات يصعد حجارة الهرم ..

كان قد وصل إلى ثلثه الأول .

قال وهو يضع يده على فم امرأته :

- بطلى صوات .. ما حدش حيرمى روحه ولا حاجة .

- الولية لسه بتطلع يا سى عنتر .. رقبتها حتتكسر .

- ولا حيجرالها حاجة ..

- انت شهم يا سى عنتر .. الولية حتقع تموت ، حد يغيتها .

جلس عنتر وهو يزمجر ، وصرخ :

- اقعدى .. اسكتى .. اخرسى .

انصاعت عديلة للصوت الآمر .. وقال عنتر بجد شديد :

- لا حتقع ولا حيجرالها حاجة .. ما سمعتيش الواد ابن اختك .. دى طالعة مخصوص فوق الهرم .. جاية من بلدها تطلع الهرم .. سياحة ورياضة .. أما تطلع فوقه حتبص علينا تلاقينا زى النمل .. آدى الحكاية .

- ربنا يهد حيلها .. رياضة إيه بس تعب القلب ده ..

- همه كده .. ناولينى طمطماية .

عاد الكيس ينفتح .. وبعد أن رطب عم عنتر قلبه بنص كيلو من الطماطم .. أسند ظهره للشجرة ولم يلبث أن نام .. وارتفع شخيره على الفور . نهضت عديلة وتمشت قليلا حول الشجرة ، وراحت تتفرج على الهرم .. كان جبارا عظيما ، صامتا بحجارته الضخمة ، وجلال الصحراء التى تمتد حوله ، حتى لقد بدا لها مخيفا .. وكان سرب الخواجات قد صار كالنمل على أحد جوانبه ، وكان السرب لم يزل يصعد يتقدمهم فى الطريق بعض أدلاء الهرم.

وبدا لها الهرم آية فى الروعة والغموض .. وقررت أن تصعد إليه وحدها كمغامرة يتحدث عنها عنتر حين يستيقظ .. غير أنها لم تكد تسير بضع خطوات فى الطريق ، حتى كان بطنها يندلق أمامها ، وكان العرق يغطى جسدها كله .. وأحست أنها ستموت لو صعدت خطوة أخرى .. وكان الطريق خاليا حولها ، فخافت . ومدت بصرها للصحراء الراقدة الممتدة ، وأحست بالرعب من بحر الرمال .

ماذا لو تاهت وحدها هنا .. واستدارت وعادت تهبط المطلع بعد أن وصلت إلى ربعه .. أسرعت إلى الجزء الظليل تحت الشجرة ، ورقدت إلى جوار زوجها .. ولم تلبث أن أسندت ظهرها على جانب الشجرة الآخر .. ولم تمض دقائق حتى كانت تغط فى النوم .

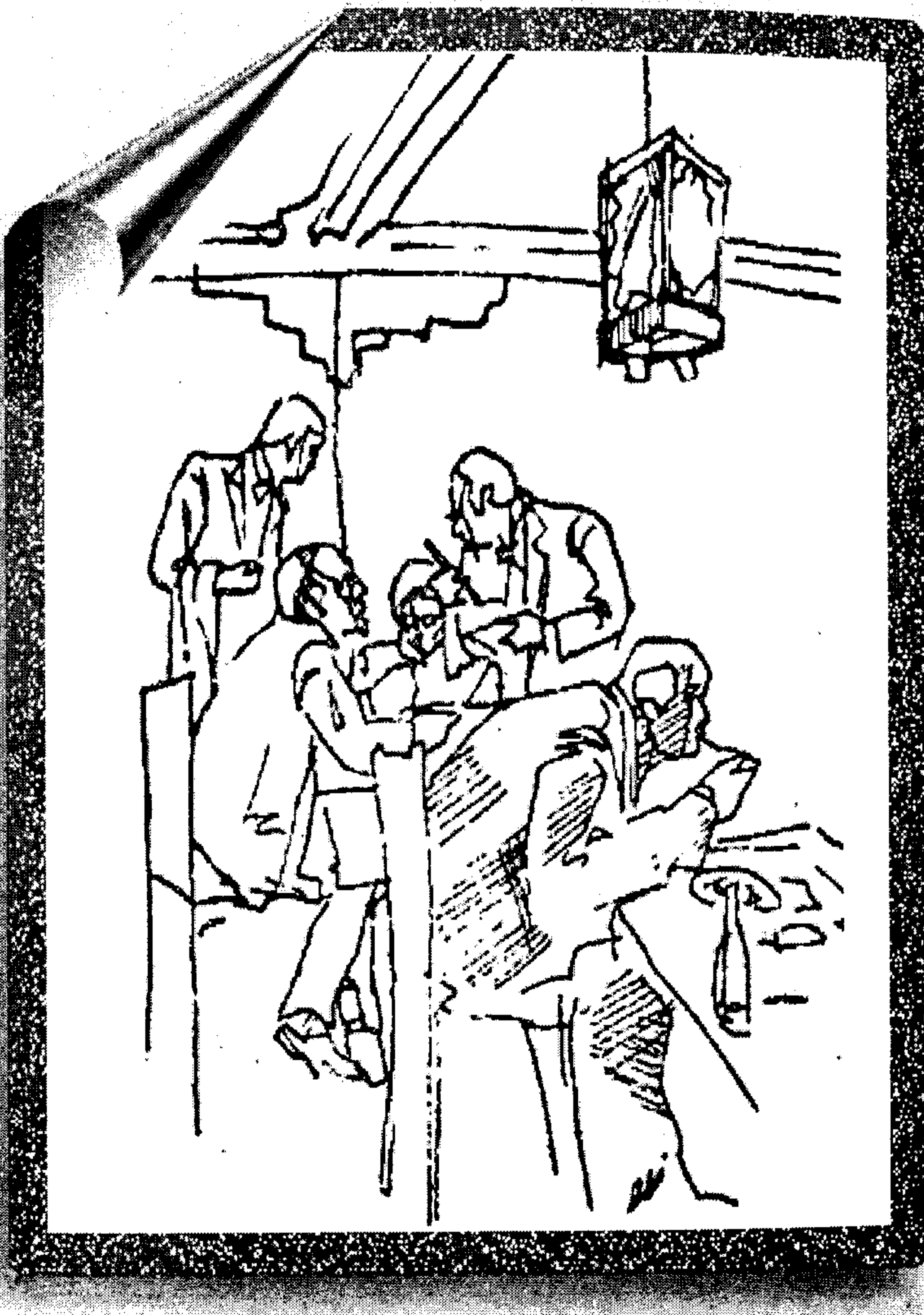
وتصاعد الشخير قويا متسقا فى ايقاع واحد .

وصمتت الطيور مذعورة فى المنطقة .

وأصاخت هوام الجبل وحيات الصحراء لهذا الصوت .

لم يشذ عن ذلك سوى عنكبوت عجوز وأطرش كان يتدلى من الشجرة فوق فم عديلة .

وراح الهواء المتصاعد من أنف عديلة وفمها يؤرجح العنكبوت وهو متعلق بنسيجه الرقيق الهفهاف .



هدية الاستاذ غراب لوالدته

قالت والدة الأستــاذ غراب لابنهــا الأستــاذ غراب ذات صــباح : نفسى أزور الشيلاتون قبل ما أموت .. بلاش اتغدى فيه .. أشــرب فــيــه ازازة بــيــبــسى . قــال منزعـــجــا هاربا من الموضوع : بعد الشــر عليكى يا أمى من الموت .. ما تزورى الحسين . قالت مــتشبثة معــاندة : لا شر ولا حر .. ضرورى فى يوم حموت .. ونفسى أزور الشيــلاتون قبل ما أموت .. أنا يا بنى زرت كل الأولياء ونفسى فى الشيلاتون .

سألها بشك ـ دى مش فكرتك يا أمى .. فكرة مين المهببة دى ؟ كان يعلم قــبل أن تجيب أنها فكرة كــاميليا .. امرأة تسكن فــوقهم وتملك سيارة صغيرة وتركب الطائرات وتدخن فعليها اللعنة .

قال غراب : فكرتها بقه فكرة الشيراتون .

قالت أمه ـ نفسى أشوفه قبل ما أموت .. ده بيقولوا .

لم تستطع أمه أن تكمل جملتها من فرط الانفعال ، انخرطت فى البكاء فــجأة . وأحس غــراب أن قلبه يوجــعه . تذكــر نفســه وهو جنين تحــمله أمــه فى بطنهــا وتذكــر الأيام التى بال فــيــهــا على ملابسها ، وراح يتذكــر أفضال أمه عليه وخدمتهــا له خدمة العبد للســيد . اندفع نــحو أمــه واحتــضــنهــا وهو يقــول : ما تعــيطيش

يا أمى.. حنروح الشـيـراتون .. الله يخرب مـخك يا كـاميليـا زى ما خربتى مخها .. استحمت الأم ودعكـت وجهها بالليفة استعدادا لزيارة الشيراتون .. وحلق الأستاذ غراب لحيته بموسى راح يسنه على الحوض ، ثم ارتدى البدلة البنى والحذاء الأسـود .

هبطا من البيت أخيرا .. كانت أمه بخير قبل أن تعرف كاميليا .. اللعنة على الاتصال بالآخرين .. جاء الأتوبيس مـتجها نحو المحطة كما لو كان قد جن . هجم على كتلة الـزحام الواقفة فتكببت الكتلة ودخلت فى الحائط الذى يبعد عن المحطة مترين وانطلقت صرخات الذعر ولم يتوقف الأتوبيس . أخاف الناس وجرى .. وتلا المفاجأة الضـاغطة تبعـثر الكتلـة الواقفـة ، جرى البـعض وراء الأتوبيس وجرى البـعض من المحطة هاربا بجلده وعاد البـعض يحتل نفس مكانه القديم .

وبحث الأستاذ غراب عن أمه فوجد طرحتها مشتبكة فى صراع مع ربع شـجـرة جـوار المحطة .. وكـانـت الطرحـة قـد أمـسكت بالفروع ، وراحت أمـه تشدها فكادت تنزع الشجـرة من مكانها ، وأسرع يعاون أمه مدركـا أن هذا الفرع يدخل ضمن نطاق الأموال الأميرية وانتزاعه جريمة .

أخيرا جاء أتوبيس ووقف .. وانحـشرت أمه وانحشر وراءها . حين نزلا منه سارا قليلا حتى وقفا أمام الشيـراتون .

بحث الأستـاذ غراب عن البـاب فلم يجده ، إن شـارعا مقـوسا صغـيرا يشبـه الأتب يرتفع أمام زجاج كـثير .. يقف أمـامه ناس

يلبسون ثيابا ملونة .. لكنه لم ير بابا ولا شباكا . وقف حائرا يرقب السيارات وهى تتوقف فى منتصف هذا الأتب ، بعدها يختفى الناس وتنزل السيارات منه وتمضى . مد يده وتحسس جيبه واطمأن على وجود جنيه صحيح معه . أفهم أمه أنهم سيشربان زجاجتين من البيبسى .. وقدر فى ذهنه أن ثمن الزجاجة قد يصل إلى خمسة عشر قرشا أو ريال .. الموضوع كله سيتكلف ثلاثين قرشا أو أربعين .. ميزانية يوم بأكمله فى حياته لكنه لم يستخسرها فى أمه .

قالت أمه وهى تجذبه من ذراعه : فين الباب .. مش شايفة بيبان خالص .

قال وهو يدير رأسه حوله حائرا : جايز قافلين النهاردة يا أمى.. أصل النهاردة الجمعة . أظلم وجه أمه فجأة لمجرد الفكرة . نكست رأسها وبدت حزينة وتعيسة وقليلة الحيلة ، ثم أضاء وجهها فجأة وقالت : يكون بابه من ورا ..

زى دكان عمك حمزة فى البلد .. تلف حواليه يا غراب وهكذا بدأ الاثنان طوافهما حوله،كان انفعالهما يزداد لحظة بعد لحظة .. أحست الأم من فرط الانفعال أنها ستختنق..صاحت فجأة :

- الشيلاتون مفتوح .. والباب من الناحيتين .. يللا يا غراب .

حين وجد نفسه داخل الشيراتون ، أحس أن كمية الأضواء التى تعودتها عيناه فى حياته العادية قد تغيرت فجأة .. استقبلت ملايين العدسات فى عينيه كمية من الضوء القوى ، فلما أرسلتها

إلى المخ ، كـان المخ معـتادا على نور المصـباح الحكومى المـصاب بالرمد والواقع على ناصية حـارتهم .. ولهذا السبب لم يعرف المخ كيف يستقبل الرسالة . أضـاءت شاشة العقل بوهج أبيض واحمر واصفر واخضر .. وأغمض غـراب عينيه ومد يده ، وأمسك ذراع أمه .. فتح عينيه وحدق فى وجهـها فأدرك أنها تمر بنفس الانبهار الذى يمر به ، كانت متوترة فمها نصف مفتوح بالدهشة ، وعيناها تلمعان بفرح طفولى ، وعلى وجهها كله آيات الرضا البالغ . اختار مائدة وسط الموائد وجلسا .

بعد لحظات أحـس غراب بخوف مـفاجىء .. بعـد لحظة أخرى بدأت عـينه تطرف .. انحـنى على أمـه وهمس فى أذنهـا : عـينى بترف .

قالـت أمه وهى تبـتسم بخـوف : اللهم اجعله خـير .. شـوف يا غراب .. شوف شكل الناس الحلوين .

انعقد لسان الأم وجلس ابنها مثلها يتلفت حوله مبهور الأنفاس يمتلىء بالدهشـة ، وبدأت عينه ترقص رقصا بعـد أن كانت ترف رفا.. ازداد تشاؤمه وخوفه ، غير أنه لاحظ وسط ذهوله أن هناك فتاة تنظر إليه بشكل محدد وثابت .

كـانت الفتـاة ترتدى ثيـابا ترتديهـا فتـيـات أخريات .. وكـان جسمها أبيض مشربا بحمرة الطماطم ، وكان فستانها يكشف عن ركبتين من البنور البلجـيكى الأصلى الذى لم نعد نستورده .. فى البداية شك أن الفـتاة أجنبيـة قد أعجـبت به ، ثم لاحظ أنها تمسك

فى يدها شيئا يشبه دفتر المحضرين وتتجه إليه ، وأوقعه الموقف فى صراع .. إنها تتجه نحوه .. التفت إلى جواره ثم عاد ينظر فجأة فوجدها فى الطريق إليه .. احمر وجهه وحاول عبثا أن يرفع عينيه عن ركبتيها البللورتين فأحس أن كل أشجار الصمغ قد سمرت نظراته على الركبتين .. أخيرا وقفت الفتاة جواره .

آه يا رب .. لو أن ألف شجرة من أشجار الفل قد سارت من مكانها بمعجزة ووقفت جواره لما استنشق ما استنشقه من الرائحة .. هاجمته رائحة عطر غامض مثير من كل الجهات الأصلية ، ورفع وجهه من الركبتين إلى العينين .. مارا بخصر مختنق وصدر شاهق وذقن فيه طابع الحسن . انحنت الفتاة هامسة له ـ أهلا وسهلا .

نهض من مكانه ومد يده يصافحها فصافحته بدهشة .. ثم وضعت أمامه دفتر المحضرين واستدعاها أحد فتركته وسارت . لم يفهم مما حدث شيئا .. كانت يده قد استحمت فى بحيرة العطر المسحور فأحس أنه يحلم .. ثم أيقظه احساسه بأمه .. إن أمه ترقب المشهد بدهشة بالغة .. ها هى تنحنى عليه وتسأله :

– أنت تعرف البنت دى قبل كده يا غراب .

قال غراب ـ نصف ذاهل ـ لا يا أمى .. أول مرة أشوفها .

قالت الأم : بتسلم عليها ليه لما ما تعرفهاش .

لم يعرف بماذا يجيب .. عادت البنت المسحورة ثانيا تسأله ماذا يطلب .

حيـن علم أنها هى الجـرسون .. اهتـز داخله شىء .. لا يدرى على وجـه الدقـة هل أحس بالحزن أو السـرور أو الدهشــة بدأت الأحاسيس تختلط وتتضارب وتتفاعل فى نفسه .

قال لها ـ فنجان من القهوة لى .. وزجاجة بيبسى لأمى .

قالت الفتاة : تحبوا تاخدوا جاتوه .

أرادت أمه أن تقول ـ نعم .. ولكنه بادر بالرفض .

انصرفت الفـتاة مسرعـة ، فعاد يجيل بصـره حوله .. ازدادت مخاوفـه ، ومد يده فأمـسك بعينه محاولا منعـها من هذا الرقص المشئوم .

قالت أمـه فجـأة وهى تشير إلى رجل .. شـوف لابس جاكـتة حمرة ، ومدلدل شـعره على أكتافه إزاى . مد يده وأمـسك بيد أمه التى تشاور بها .

قال لأمـه هامسا : عـاوزين نقعد مـسافة مـا نشرب البيـبسى ونتوكل على الله .. أنا مش متفائل من الخروجة دى .

قالت أمه وحسها يرتفع ـ مش مبسوط ليه .. أنت وش نكد ليه يا حـبيبـى .. ده أحسن م السـيما .. شـامم ريحة كـانوليـا . قال مصـحـحا لغة أمه : كلونيا مش كانوليا . قالت أمه شيئًا لم يتبينه . كانت عيناه تطوف مثل وثن متبـتل حول الفتاة التى كان له شـرف مصـافحتها .

إن الفتاة تحدث الناس ، وتضـحك معهم ، وتسـايرهم . وتوزع ابتسامتها حولهم ، وكل مرة كانت الـفتاة تبتسم لغيره كان حزنه

يعمق ويغوص داخله . لماذا تتجاهله هذا التجاهل ؟ لماذا شجعته فى البداية ؟ لماذا انحنت له ؟ لقد كانت اللحظة التى انحنت فيها له لحظة تبدو له الآن مثل حادث وقع منذ ملايين السنين .

حادث بعيد بعيد .. وأحس أنه حزين حزين .. تصور نفسه فى بيت وهذه الفتاة تنحنى له وحده ، وتضحك له وحده .

ـ فين البيبسى يا غراب .. سقف للبت اللى هناك دى . رفع يده وكاد أن يصفق فاكتشف أن الفتاة تقف جواره هامسة :

حالا .. قالتها كأنما تقول له أحبك ، واستدارت ومضت مثل حلم . أحس غراب أنها فهمت إشارته قبل أن يشير ، وأدركت حاجته قبل أن يطلب .. أحست به مثلما يحس بها ..

وعادت موجة الحزن تغرقه .. أحس غراب أنه شبه محطم .. لا يستطيع أن يرفع يده أو يحرك قدميه .. إن شعورا بالغربة يغزوه منذ أن دخل هذا المكان اللعين .

لو لم يأت أصلا لما رآها ولما أحس بما يحس به من مشاعر . وصلت القهوة والبيبسى .. لاحظ يديها وهى تصب له فنجان القهوة ، تنهد فتحركت جبال التعاسة على صدره وارتفعت بمقدار تنهيدته ثم عادت تستقر على صدره .

أراد أن يقبل يدها .. أراد أن يرمى نفسه على الأرض تحت قدميها ويبكى .. لكنه جلس صامتا يحدق فى أصابعها .. وحين انتهت من صب فنجان القهوة رفع عينيه نحوها فوجدها تبتسم لـه .

اغـرورقت عيناه بـشـىء يشبـه دمـوع الشكر ، ثم تلاشت من أمامه فـجأة . ابتلعت أمه زجاجة البيـبسى فى رشفتين كـبيرتين وتجشأت براحة . اكتشف الأسـتاذ غراب فى هذه اللحظة فحسب أن الأنظار حـولهمـا ترمقهـما باسـتغـراب وابتسـام ينطوى على الإهانة ، تنبه أنه مـوضـع نظر الجالسين .. وبدأ العـرق ينحدر من قفاه ويخـترق ياقة القميص وينحـدر على ظهره .. أحس أن قطرة العرق قد وصلت إلى منتصف الفانلة ، ها هى تـتبعثر .. يعرف أن هذا الموضع فى الفانلة ينطوى على خرم مـتسع ، خيل إليه أن كل الجالسين فى المكان يرونه . قـالت أمه وهى تمصمص بشفتـيها .. بلا نيلة .. زى بيـبسـى عم عبـده .. بس مثلـجة .. أمـال بيقـولوا الشيلاتون .

انفجرت الضـحـكات حولهما فى مائدة قريبـة ، كان الجالسون فى المائدة قد اسـتداروا بكراسيهم ، وطفـقوا يرقبون مـشـهد الأم ومشهده كما لو كانا مخلوقين غريبين وضعا خلف أقفاص . أحس الأسـتاذ غـراب أن وقت الانصراف قـد حان . رفع يده وقـبل أن يصفق كانت سندريللا تقف جواره .. قال لها :

« الحساب كام من فضل حضرتك » ؟

انصرفت الفتاة وعادت تمسك فى يدها ورقة مطوية .. نظر فى الرقم فاكـتشف أنه مـائة وخمـسون قرشـا . أدرك أن الفتـاة قد أخطأت .

لقد طلب فنجـانا من القهوة وشربت أمـه زجاجة من البيـبسى

هناك خطأ بغير شك . استدعى الفتاة وأعطاها الورقة قائلا :

- الحساب لا مؤاخذة غلط . قالت الفتاة مبتسمة : لا يا سعادة البيه . لو أنها لم تبتسم لاستطاع أن يناقشها ، ولكنها جردته من كل أسلحته بابتسامتها . قال لها : أنا أخذت قهوة ووالدتى خدت بيبسى .. القهوة بكام والبيبسى بكام . قالت الفتاة وهى تبتسم : فيه مينمم تشارج . سألها : فيه إيه لا مؤاخذة .

قالت بنصف ابتسامة : يعنى فنجان القهوة بخمسة وسبعين قرشا . وازازة البيبسى بخمسة وسبعين قرشا .. أفلتت منه شهقة.. غامت عيناه ولم يعد يفهم .

قالت أمه وهى تستدير بكرسيها نحو الفتاة :

- ليه يا بنتى.. هو ما فيش فى قلوبكم رحمة.. هو انتو كفرة ؟

- مد غراب يده فى جيبه ، وأخرج الجنيه الوحيد الذى يملكه ووضعه على المائدة ، وقال للفتاة :

- كويس قوى إن القهوة تبقى بريال .. والبيبسى زيها .. احسبيها انتى بقى ..

قاطعته أمه ، وتدخلت فى الحديث وبدأت تفاصل . مال غراب على المائدة وقال للفتاة برنة توسل .. الله لا يسيئك مامعيش غير الجنيه ده .. كويس قوى على ازازة بيبسى وفنجان قهوة .. اعملى معروف ..

قالت الفتاة : وهى تكتم ضحكتها : ناقص خمسين قرش . قال وهو يكشر وجهه : مافيش خمسينات قرش .

انقلب غراب فجأة من المهادنة إلى الهـجوم . لم يعرف ماذا قال على وجه التحديد .. ربما تحدث عن اللصوصية والاستغلال وربما ذكر فى الحديث ظروف مجيئه وكيف أنه جاء يحتفل بأمه ، وربما يكون قد أشار إلى شورة كاميليا السـوداء وتغفيله حين استمعت إليها أمه .. وربما تحدث عن الرحمة والعدل .. لا يعرف غراب ماذا قال على وجه التحـديد .. كل ما يعرفه أن الفتاة اخـتفت من أمامه وجاءه وجـه رجل .. ثم تلاه وجـه رجل آخر .. ودار رأسه تمـاما وفوجىء بمشهد أمه وهى تبكى .. وأثاره منظر بكائها فصرخ فيها وهجم عليهم .

واختلط كل شىء واشتـبك كل شىء ، وارتفع صراخ أمه وهى تهب لنجدة ابنها وتضرب أقرب الواقفين إليها على صدغه .

ووسط الهرج والمرج لم يدر غـراب شيئـا إلا أنه ملقى مع أمه خارج الشيلاتون .

قالت أمـه وهى تسحـبه من يده وتسـرع ـ الجنيه مـعاك وإلا سبتلهم الباقى قال وهو يجرى : « الجنيه اتقطع .. لا خدناه احنا ، ولا خدوه همه » .



لحظة كآبة..

الشمس تتهيأ للغروب ..

تساءل وهو يقود سيارته كيف يمكن لانسان أن ينكر بهاء الدنيا ، إن القاهرة تغوص فى بدايات العتمة مثل سفينة تنزلق على الماء ، ومن الشوارع تتصاعد أصوات السيارات ، وضجيج المارة ، وصياح العابرين ، ورائحة الشواء والبخور .

انحدر بسيارته من حى الحسين وراح يتأمل هذا المزيج المدهش بين القاهرة القديمة والجديدة ، مرت عيناه على القبح المعمارى الحديث الممثل فى الكوبرى الذى يخل بتناسق الميدان وجماله، ولكنه لم يكن مستعدا أن يرى خلال هذه اللحظات غير الجمال الكونى المطلق .. ومن ثم أشاح بنظره عن الكوبرى وعاد يغوص فى سعادته كأنه يغوص فى كرسى وثير . استيقظ من نومه بعد الظهر فأحس أنه يولد لتوه ، كان كل شىء يبدو له بريئا ودافئا وحلوا إلى حد لا يصدق .. ارتدى ملابسه وتعطر وهبط إلى سيارته وقادها فى طريقه لزيارة أمه ..

لم يتصل بها ليخبرها أنه قادم .. قرر أن تكون مفاجأة لها وراح يتصور فرحتها برؤيته دون موعد ..

إن أمــه تحس بوحدة حـقـيـقـيــة ، فمنذ أن تزوج وأنجب ابنتــه الوحيدة لــم يعد يزور أمه إلا بموعد ســابق كثيرا ما يخـلفه ، كان يقدم إليــها كل ما تريده من نقــود وأحيانا كــان يعطيها أكـثـر مما تحتــاج إليه ، ولكنه ظل بعيدا عــنـها ومستــغرقا فى حيــاته ، فإذا استمع لشكواها عن الوحدة فعل ذلك بابتسامة مهذبة وقلب مغلق.

لا يعرف الآن حـقيقة المشــاعر التى تربطه بأمه ، خــيِّل إليه أن مقاييس مشاعره قد تغيرت منذ زمن بعيد لا يدريه .

أشعل سيجارته وامتص دخانهــا باستمتاع ، فتح محطة الراديو فى السيارة على شريط من الموسيقى الخـفيفة ، وراح يستمع وهو يحس أنه يسبح وسط بحر دافىء فى يوم من أيام الصيف الهنية.

لم يحــاول أن يضع يده عــلى أســبــاب ســعــادته ، ربما يكون الســبب هو نجاحــه فى عمله كـمهندس ، وربما يكون الســبب هذا العقــد الأخيــر الذى وقعه بإنشــاءات يصل ربحه فــيهــا إلى أرقام تفــوق قدرته على الحلم ، وربما يكون الســبب فوزه المـستمــر فى المســابقات الـعالميـة للإنشــاء الهندسى ، وربما يكون الســبب هذا الإعــجــاب الجـديد الذى نشــأ بينه وبين الـسكرتيــرة الانجليـزية الناعــمــة التى تعــمل فى مكتــبــه ، أو يكون الســبب هذه الولاعــة الرخيصة القديمة التى تشــتعل بالبنزين والتى اشتراها منذ يومين وكانت تشبه ولاعة جده ..

لم يناقش محمود سبب سعــادته ولا حاول معرفة السر ، كان جسده كله يحس ببهجة غامضة وزهو لا يدرى مصدره .

إشارة المرور حمراء .. تأمل لون الاشارة ، كان الجحيم يشبه لون حجر من الياقوت رآه منذ سنوات فى جزيرة فى المحيط الهندى ، وأحس حين تأمل الحجر أنه يشبه قطعة من الجحيم المثلج المحفوظ ، وأعجبه الحجر ولكنه اشترى حجرا من الزفير الأزرق الذى يشبه ماء بحر تجمد ، أضاءت الاشارة باللون الأخضر فسار ، راح يتأمل قبح العمارة المصرية على جانبى الطريق ، ليست هذه عمارة قوم ينحدرون من أسلاف كانت الأهرام جبانة فى مقابرهم .

تعبر الطريق فتاة صغيرة تمسك يد شيخ مسن يبدو عليه أنه أنقاض لم يحن أوان رفعها بعد .. طيّر الهواء فستان البنت فبدت سيقانها مثل سيقان الكتكوت ، اشتاقت نفسه إلى حظيرة لتربية الكتاكيت ، سيقول لزوجته الفكرة وسترحب بها ، ستحس على الأقل أنه يشترك معها فى شىء . زادت سعادته حين تصور سعادة زوجته ، قرر أن يرسل ابنته هذا الصيف إلى باريس ، إن عمتها تعيش هناك والبنت ستجن لتذهب وهو يعارض محتجا بالتقاليد ، ولكنه قرر وهو فى أوج سعادته أن يسعد ابنته هى الأخرى ، انحنى بسيارته جهة اليسار وسار ..

على يمينه سيارة صغيرة وقديمة ، لم يكد يراها حتى انقبض قلبه بعنف واختلت عجلة القيادة فى يده .

أحس محمود أنه يعرف السيارة ..

نهض داخله تيار قوى من الشك يقول إنها ليست سيارتها ،

ولكنه دقق النظر وأحس أنها سيارتها .. لم يكن يستطيع أن يلتقط رقم السـيـارة حـتى الآن .. ولكنه أحـس أن بينه وبين السـيـارة تاريخا ترك بصمات أصابعه فى كل مسام جسده ، وفى كل ذرات السيارة على السواء .

كان هناك ثلاثة يجلسون فى السيارة ..

يجب أن يرى من يـكونون .. لمح رأسـهـا فى المقـعـد الخلفى للسيارة .. هذا شعرها الناعم الطويل الأسود ..

لم ينس الشعرة البيضاء التى أرتها له ذات يوم وهى تقول :

– انظر .. لقد بدأت أكبر .

انحنى على يدها يقبلهـا وهو يهمس : أنت لا تكبرين أبدا . أنت طفلة فى الثامنة وستظلين هكذا إلى الأبد .

اندفع بسيارته ليـتـأكد فرأى طرفا من وجهـها ، وتـأكد .. وفى نفس اللحظة لمحت عيناه رقم السيارة ..

إنها سيارتها ..

لماذا لا تقـود السيـارة إذن .. كـانت تجلس فى الخلف .. أبوها أمام عجلة القيادة وخادمتـها فى المقدمة وهى فى المقعد الخلفى .. رفعت يـديها إلى أعلى ، ومـسـحت بهمـا شـعرها وضـغطت على رأسـها ..

هذه هى عادتها إذا كانت متعبـة أو مستريحة ، كان يعرف متى تمسح رأسـها وهى مـتعبة ، وكان يعرف مـتى تمسح رأسها وهى مستريحة أو سعيدة .. وكان يحب يديها المعروقتين أكثر مما أحب أيدى أى امرأة أخرى فى الأرض .

أحس محمـود وهو لا زال يرى جزءا من السيارة أن مـجهولا يوقف سعادته أمام جدار قديم ويضربها بالرصاص .

هوت سـعـادته صـريعة فى الـلحظة التى عـرف فـيهـا أنهـا سيارتها ، وانهار الجسد الصريع يموت موتا ثانيا حين رأى جزءا من وجهها ..

كيف تركـته هذه المرأة الغـبيـة ، كيف يحب الرجل امـرأة بهذا القدر الذى أحبها به ، ورغم ذلك تطاوعها نفسها أن تتركه .. لا لم يكن يحبها كما يحب الرجل امرأة .. ولا كـانت معرفته بها صداقة عميـقة أو عشقا أو تفـاهما أو راحة ، أبدا .. كانت العلاقـة بينهما أبسط من ذلك .. كان مريضا بها على الدوام .

كانا مـعا يكونان ذرة واحـدة خلقها الله ، وأى خـصام بينهـما يعنى تحطيم هذه الذرة . وتحطـيم الذرة يؤدى للانفجـار النووى والاشعـاعات المهلكة ، وهذا ما يحسـه تماما حين ينفـصل عنها أو يبتعد أو تهجره أو يهجرها .

ورغم ذلك وجدت الشـجاعة لتـهجره .. وعـرف الآن جزءا من قسوة الـنساء .. يعرف هذا الجزء الذى يجـعله يهضم فكرة الموت بعد طول خوف ..

أشعل سـيجارة ويده ترتعش ، واخـتلت عجلة القـيادة من يده فكاد يصطدم بسيـارة على يساره ، وسبه قائد السـيارة الأخرى فلم يسمع حتى ما قاله الرجل ..

كان يحس بخواء يشبه تفريغ الهواء النابع من انقسام الذرة .

كانت عنيدة وبسيطة ونقية وغبية ورائعة .. أحبها فى المرة الأولى التى رآها فيها فقد كانت معطرة بالماء .. وحدثها عن كراهيته للعطور فابتسمت فى وجهه وقالت له :

انت تفضل طعامك بغير ملح .

قال مندهشا : نعم ..

قالت : وتفضل النساء بغير عطر .

قال ودهشته تتعاظم : هذا صحيح ..

قالت : أنت راجل بدائى ..

ضحك وهو يقول لها أنت أذكى من عرفت .. كان ذكاؤها من لون غريب قدر له فيما بعد أن يعرفه ، هذا الذكاء المرتبط بالإحساس ، إنها تنظر فى عينيه ، وتعرف منهما هل خانها بالأمس ، ومع من كانت خيانته .

وتعلم كيف يخاف من غضبها كما يخاف الإنسان ضميره فكان حبهما هادئا وعميقا منذ البداية ، وكان أكثر ما تشكو منه أنه لا يخاف منها .. وكان يسألها :

– عاوزانى أخاف منك ليه يا دودو ..

كانت تقول كده .. مفروض الراجل يعمل حساب الست . أنت مش بتخاف منى ولا بتعمل لى حساب ..

كان يقول لها مازحا : ما يصحش الراجل يخاف من الست . المفروض العكس .. لم يكن يقول لها الحقيقة ، كان يحس أن الحقيقة هى نقطة ضعفه المؤكدة ، ولو اعترف لها بحقيقة مشاعره

لعرفت أنها المخلوق الوحيد الذى كان يحسب له حسابا .

غبية رغم ذكائها ، وغيورة رغم ثقتها إنه يحبها .. ومتسلطة رغم أنه رفع الراية البيضاء ، واستسلم .. ولم يكن يفهم لماذا ...؟

اختفت سيارتها حين اتجهت إلى اليمين .. ظل هو فى طريقه يقود السيارة الآن كأنه يقود آخر ما بقى من سفينة غارقة وسط المحيط .

كان يتشبث بعجلة القيادة كأنه يمسك لوحا طافيا من حطام السفينة ، وبدت له شوارع المدينة مثل أمواج من الهموم التى بدأت تصطخب منذ عهد آدم ..

هواء ..

فى حاجة إلى مزيد من الهواء .. فتح شباك سيارته وتنهد من صدر موجوع .. يذكر إحساسه بها حين وقفا جوار النيل .. رأى حبه لها زورقا لم يغرق بعد ولكنه سيغرق ، ورآه حصانا يوشك على السقوط .. كان الموج يضرب برفق ناعم جدران الشاطىء الطينية .. وكان يتأملان لون الموج الأسود فى الليل .

لم تتكلم هى .. كانت تبكى .. راحت دموعها تنحدر من عينيها دون صوت ، لم يعرف لماذا كانت تبكى ، كان هذا هو لقاؤهما الثانى ، وكانت تسمع اعترافه أنه مريض بها ، وتصور أن بكاءها كان جزءا كونيا لازما للخليقة ، كانت كل دمعة من دموعها تغسل روحه وتطهره من كل خطاياه ، وخطايا النوع الإنسانى ابتداء من قتل قابيل لهابيل وانتهاء بظلم الإنسان وامتهان آدميته ..

غسل بكاؤها أعـماق روحه ، فأحس أنه يولد بين ملح دمـوعها وجلدها .

كان صوتهـا يصل إليه فى التليفون فيـحس به مثل نداء كونى لا يملك أن يقـاومه . إن صـوتها يملؤه ويتـسلل فى أنحـاء روحه ويضيؤها مثل نجـوم بعيدة ، وبالغا ما بلغ كتـاب الألم ، فقد كان فى صوتها من ضعف القوة ما يكفى لدفعه إلى الجنون .

وبدأ ينشىء حلمه الخاص فىُ الأرض ..

نظر إليـها فى البـداية وتصور أنهـا استغـرقت أجيـالا طويلة لتولد، يستحيل أن تكون أصابع قدميها مثل أصابع قدمى حتحور ويكون ذلك صدفة .

ليست هذه مجـرد صدفة من صدف الكون ، ثمة تفسـير واحد كان يبدو له عبثا وبلا مدلول ، كان يخيَّل إليه أن قدميها ولدتا فى عصر حتحـور ، وتم إنشاء ساقيها الرخاميـتين فى عصور الدولة القديمة ، ثم جاء الرومان واليونان وأضافوا إليها ضلعا ، ثم مسح المسيحيون وجهها بالزيت ، وعطروا صدرها بالمر واللبان وخشب الصندل ، ثم تقاتل المماليك فى حوارى القاهرة القديمة ، وولد بعد قتالهم أطفال عديدون ، كـانت جدتها هى هذه البنت الخجولة التى تلتصق فى ستائر المسجد هناك .

لم تكن امرأة فى نظره وإنما كـانت بناء هندسيا شامـخا انشأد الحلم داخل روحه ، وكان يحس إحساسا باطنيا فاجعا أن جسدها الذى استغرق عشرات الأجـيال ليولد لم يستغرق نفس الوقت فى

صنع عقلها فجاء عقلا عذريا لم يفض اخـتامه المسحورة الخرافية أحد . ولقد كان جزءا من سحرها هذا المزيج القديم والطفولى معا، فقد كان الاثنان يصنعان عبقا خاصا ..

انحنى عليها وقال : أريد أن أشم رأسك ..

وضـعت رأسـهـا تحت أنفه .. ثمـة عطر ولا عطر وثمـة خمـر ولا خمر ، ولكنه بالقطع يسير فـى حديقة تمتلىء بزهور البرتقال ذات يوم ربيعى ..

- أنت لا تحبنى ..

- أنت مجنونة ..

- ولا تحسب حسابا لى .. ولا تخاف منى ..

ولا ترعى مشاعرى ، ولا تغار علىّ .. أنت لا تحبنى .

جنون من الجحـيم ، أو ملكة متوجة تريد أن تعـمل خادمة ، أو صورة فى الحلم تريد دور دادة فى الحـياة . يجب بناء الهرم إذن من قمته لقاعدته ، ويجب وضع الجزء المدبب على الأرض ووضع الجزء العـريض فى الهواء . سئمت الكاهنة فى قـدس الأقداس من طقـوس العبـادة الوثنية ، وتريد قلب الأشـياء والموازين فـسكبت الزيت الفـرعـونى ، وأسـرعت تولى هاربة وكـبر كـتـاب الآلام ، وانهزم اخناتون أمام كهنة آمون فزاد حزن الشمس وزادت كآبتها وبدأت رحلتها الجنائزية نحو الغرب .

أضاء مصابيح سيارته حين أطبقت الظلمة تماما ..

اكتشف أنه يقود السيارة بلا هدف ، مر ببيت أمه ولم يتوقف ،

وخرج من الحى الذى تسكنه أمه وهو الآن يسـير بسيارته وسط بيوت وشوارع لا يعرف فيها أحدا ..

أطفأ راديو السيارة وأشعل سيجارة وأحس أنه لا يعرف إلى أين يريد أن يذهب .. لم يكن يريد الآن شيئا ..

لا يستطيع زيارة أمه ، لو ذهب إليها فهناك احتمال أن ينهار ويبكى على صدرها ، وهو لا يستطيع ذلك ، ولا يستطيع العودة إلى بيته ، ستكتشف ابنته مأساته ، ولا يستطيع أن يظل ماضيا بسيارته طوال الليل ..

اعتصرته كآبة غامضة ..

وماتت داخله كل المعانى والرغبات والعلاقات ، وتحول إلى تعاسة مغتربة وسط وحدة متأبدة فقدت خطوها على الطريق .

وفقدت هدفها من السير ..

وعاد يمضى بسيارته ..



انزلى يا تفيدة.. اطلع يا سيد

دعته زوجته للعشاء فنهض وهو يفكر فى نفسه .

إنه لم يدخل فى حياته قسم بوليس إلا لاستخراج بطاقة عائلية ، ولم يدخل فى حياته مسرحا إلا للسؤال عن أحد أقاربه ، ومفهوم طبعا إنه لم يدخل سينما ولا محكمة ولا ملهى ولا أى مكان يمكن أن يتهم فيه بالاخلال بأى أمن ، ابتداء من أمن الدولة وانتهاء بالأمن الغذائى ، فهو إذا أكل لم يأكل أقل مما يجب ولا أكثر مما ينبغى .

باختصار .. لا يمكن اتهام سيد أفندى الغندور بأى رعونة أو نزق . إنه رجل عاقل ما فى ذلك شك .

ولكن عقله يتأرجح هذه الأيام ويترجرج داخل رأسه حتى أنه صار يشك فى سلامته ..

إنه يحس أن عقله يتموج وينبسط وينقبض ويرتجف ويكاد يطير مثل عصفور أفزعه سقوط شجرة . ولقد بدأت المأساة منذ أسبوع بالضبط . أحس سيد أفندى أن هناك يدا خفية تصوب إلى رأسه مسدسا محشوا وتضغط على الزناد .. وهو لا يعرف - حقيقة - متى تنتهى الأصبع القاتلة من ضغط الزناد ، ربما تنتهى الآن ، وربما تنتهى غدا ، وربما بعد ساعة أو شهرين ..

لا يعرف متى تنطلق الرصاصة ، ولكنه يعرف أنها ستنطلق .. وسوف تخترق عقله وتثقب جمجمته وينكسر الطبق العظمى ويقع منه مخه .

عادت زوجته تناديه للعشاء .. امتقع وجهه وارتعش ولكنه استمر فى سيره ، كان يحس بالخوف .. لون من الخوف لم يجربه فى حياته من قبل . لقد ظل كل شىء يمضى فى حياته هادئا واثقا مطمئنا أقرب إلى الرتابة ، حتى كان اليوم الذى شاهد فيه حركة غير مألوفة حول البيت .. سأل البواب عن الأمر فحدثه أنها لجنة من مهندسى البلدية تعاين البيت ..

سأل بدهشة : لماذا يعانون البيت ؟

قال البواب : يا سيد أفندى .. البيت آيل للسقوط .. من هذه اللحظة سقط داخله شىء ..

ربما شجاعته .. وربما جبنه .. لا يعرف .. كل ما استطاع هضمه أن البيت آيل للسقوط ..

وبهذه البساطة ارتفعت اليد بالمسدس المحشو إلى رأسه وبدأت الأصبع المجهولة تضغط على الزناد ..

وقع هذا منذ أسبوع . ومنذ أسبوع كامل وهو يخفى هذا السر المخيف عن زوجته السيدة تفيدة الملوانى . كان يعرف أنها تجزع لأتفه الأسباب ، وتخاف من الحسد والعفاريت والجن وعشرات الأشياء التى يعتقد سيد أفندى أنها لا توجد خارج دائرة المخيلة .. وقدر سيد أفندى فى نفسه أن خبرا كهذا قد يخرجها عن طورها ، وربما خرجت من البيت حافية وهى تصرخ ، وربما رفضت تماما

أن تبـقى فى البيت لحظة واحـدة .. وربما تصـرفت بشكل يسىء إليه وهو رجل وقور ومحتـرم فى الحى كله ولهذا كله أخفى سيد أفندى السر عن زوجته ، وإن ظل يرتعش داخل ملابسه كلما تذكر أن البيت قد يسقط فوق رأسيهما فى أية لحظة ..

وخلال هذا الأسبوع ، تـغير احساس سيد أفنـدى بالخبر كان الخبر حـين سمعه لا يزن أكثـر من وزن بطيخة كبـيرة .. سقطت على رأسه ، ولكن مرور الثوانى والدقائق والساعات كان يزيد من ثقل الخـبر ، حـتى أحس أن الذى سـقط فوق رأسـه كـان جبـلا عاتيا .. وأوشك على الانهيار أخيرا ..

وفى هذه الليلة قرر سيد أفندى أن يصارح زوجـته بالحقيقة ، أحس أنه غيـر قادر على حـمل هذه المصيبـة وحده ، ولكنه تحـير كثيـرا كيف يبدأ الموضوع أو كـيف يعثر على ثغرة ينفـذ منها إلى الحـديث فـيـه .. وصل إلى المطبـخ وجلس أمـام مـائدة العـشـاء صامتـا .. كانا يجلسان صامتـين حين قالت زوجته فـجأة : مالك يا سيـد .. رفع رأسه فـزعا ونظر إليهـا ولم يرد ، عادت زوجـته تقول : مـالك .. بقى لك أسـبوع ما نطقـتش بكلمـة واحدة .. أنت عيان وإلا إيه ؟

قال سيـد وهو يستجمع أطراف شـجاعته : كويـس إنك فتحت الموضـوع . قـالت تفـيدة وهـى تنحنى على مـائدة الطعـام .. إيه الحكاية يا سـيـد .. قـال سـيد وهـو يزيح طبق الزبادى دون أن يمسـه : اسمعى يا تفـيدة .. أنا عاوز اعـترف لك بحاجـة .. قالت تفيدة ووجهها يمتقع امتـقاعا شديدا : تعترف لى بإيه .. قال سيد

وهو يعتصر يديه ويتعثر فى الكلام مش عارف ابتدى منين يا تفيدة ..

وضعت تفيدة يدها على قلبها وأحست بالدوار فجأة ، جرى ذهنها لشىء واحد .. إن زوجها الخنيس الهادىء الوقور سيد أفندى الغندور قد تزوج عليها .. إنها لا تنجب أطفالا وقد عاشا معا خمسة عشر عاما دون إنجاب ، وقد ذهبا معا إلى الأطباء دون جدوى . أخيرا فعلها وتزوج من وراء ظهرها كما يفعل كل الرجال ، وها هى تقف على عتبة الاكتشاف الرهيب . نظرت تفيدة لسيد نظرة طويلة .. أحست بحقد عارم يشتعل فى قلبها فجأة لم تشعر من قبل أنها تحبه ولا أحست أنها تكرهه ، كان زواجهما تقليديا ، ولكنها الآن تشعر نحوه بأحاسيس غريبة .. نظرت فى وجهه المدور وعينيه الخائفتين وخيل إليها أنها يمكن أن تسممه دون أى شعور بالندم أو بتأنيب الضمير ..

طال الصمت بينهما واستمر لحظات ..

انحنى سيد على طبق الزبادى وبدأ يعبث بالملعقة ويزيح القشدة ، كان رد فعلها قد أخافه .. يعرف أن قلبها خفيف .. وربما تصرخ أو تجرى أو تصر على عدم المبيت فى البيت . وهكذا قرر سيد أفندى أن يؤجل الموضوع إلى الغد ..

وبدأ يأكل من طبق الزبادى وهو يحاذر أن يحدث صوتا . ورنت فى المطبخ زعقة هائلة انتفض سيد أفندى على إثرها واقفا .. كانت الزعقة صادرة من زوجته وهى تقول :

اتكلم .. سكت ليه ، قال سيد وهو يجلس وقد تزايد خوفه

بتزعقى ليه يا تفيدة .. مفروض إن احنه نتصرف بعقل .

عـادت زوجـته تقـول وهى تصك علـى أسنانهـا بعنف : اتكلم يا سيد .. قول كل حاجـة .. قول لى دلوقت .. أعرف دلوت أحسن ما أعرف بعد ما تموت ..

قال سيد : تعرفى إيه يا تفيدة ..

قالت تفيدة : بما يشبـه الصراخ أعرف إللى كاتم على قلبك من أسبوع . قال سيد : بس أنا عايزك تهدى شوية يا تفيدة كل حاجة تنحل بالهدوء .. بالعقل ..

قالت تفـيدة وهى تمسك سكين المطبخ دون أن تعى مـا تفعله : اسمع يا سيد .. ما تتفلسفش علىّ .. اتكلم ..

وقفت تفيدة وهى تقول عبارتها الأخيرة ولوحت بسكين المطبخ فى وجهـه .. تزايدت دهشة سيـد أفندى ، ورجح أنها لن تحـتمل الخـبر لو قـاله لها مـرة واحدة .. وقـرر أن يسوقـه إليهـا بشكل مخفف .

قال لها وهو يتـوقف عن الأكل : عارفة اللى احنه عايشـين فيه ده كله .. ممكن يقع .. وقـفت تفـيدة بعنف فـسـقط الكرسى الذى كـانت تجلس عليـه . ووقف سيـد أفندى مـدهوشـا .. كان وجـه زوجـته قـد تحول من الغـضب إلى الجنون .. إن وجهـها الراكـد الهادىء يضطرب بجنون خفى لم تلحظه عيناه من قبل .

قالت تفيدة : اتكلم دوغـرى .. بلاش لف ودوران .. فهمنى يقع إزاى ..

ووسط الهياج الجـامح الذى أحدثته الزوجة وجـد سيد أفندى

نفسه يرتعـد ويقول لها بما يشبه التوسل : يا تفـيدة .. دى حاجة بتاعة ربنا ..

وقفت تفـيدة واسـتجمـعت كل قوتها وتهـيأت للصـراخ .. لقد أيقنت الآن أنه تزوج .

قبل أن ترقع بالصـوت أدرك سيد أفندى من طول عشـرته لها أنها سترقع بالصوت ..

قال بسـرعة : الحكاية دى مش نهـائية يا تفيـدة .. اللجنة اللى جت تعاين البيت مـا قالتش إنه ضرورى حيـقع .. قالوا جايز يقع وجايز ما يقعش ..

أوقفت تفيدة الصرخة فى فمها ، وجلست بهدوء شديد وراحت تكمل عشاءها ..

نظر سـيد أفندى إليـها ، امـتـقع وجهـه وخشى أن تكون قـد أصيـبت بنوع هادىء من الجنون ، ولكنه لاحظ أنهـا تأكل بهدوء لا يخفى وراءه جنونا من أى لون .. جلس سيد أفندى فى كرسيه وهو يحس بقلـق بالغ .. حـاذر أن يتكلم أو يتـحـرك .. ولم يلبث صوت زوجته أن جاءه من فم مملوء بالـطعام .. أنت يا سيد دايماً تخضنى كده أنت بتتكلم على إيه بالضبط ..

قال سيد باستكانة : بتكلم ع البيت .

قالت تفيدة : طيب ما أنا عارفة .

سأل سيد بدهشة : عارفة إيه ..

قـالت تفـيدة بهـدوء : عـارفة إن البـيت حـيـقع .. جه جـواب م البلدية .. بيقول ضرورى تخلو الشقة ..

ارتعش سيد من هدوء زوجتــه .. سألها برفق : طيب انت يعنى مش خايفة .. قصدى مش مهتمة ليه ..

قالت زوجــته : وأخاف ليــه .. ولو خفت حـعمل إيه .. يقع زى ما يقع .. ما احناش ماشيين من هنا إلا ع الطربة .

نظر سيد فى وجه زوجته ولم يقل شيئا .. ولم يفهم فى نفسه ما الذى أثارها لدرجة الجنون منذ لحظات ..

ولم يفهم سر الهـدوء الذى نزل عليها فجـأة .. ولم يفهم كيف تجلس بهذه الأعصاب المثلجـة رغم أن خطابا جاء من البلدية وفيه قرار حاسم يحملهم مسئولية البقاء فى بيت مهدد .

واضطرب سيـد أفندى اضطرابا عميـقا وهو يحاول أن يفـسر انتقال زوجـته من العنف إلى الهدوء ، ومن الثـورة إلى اللامبالاة دون أسباب واضـحة ..

سكت لحظة ، ثم قـال لزوجـته : ليـه مـا قلتليش على جـواب البلدية ..

قالت تفيدة : أقول لك إيه ..؟

قال سيد أفندى : إزاى تخبـى على خبر زى ده وانت عارفة أن دى حاجة تهدد حياتى .. انت عايزة تموتينى .

قالت تفيدة وهى تضحك:بعد الشر عليك م الموت .. الموت حق . مافيش حد حايخلل ..

بلغ الغـضب ذروته داخل نفس سـيـد أفندى .. نظر لزوجـتـه وأحس أنه يكرهها . لقد عاش معهـا عمرا بأكمله ، ولم يكتشف إلا وهو يجلس أمـامـها الآن كم يـكرهها .. كـانت عـيناها غـبـيتـين

راكدتين ، وكان وجهها شيئا مجسدا من البلادة ..

لقد وصلها خطاب يؤكد أن البيت سيقع ، فلم تحدثه عن الخطاب .. إنها بليدة لدرجة تهدد حياته بشكل مباشر ، ثم إنها جاهلة أيضا بليدة وجاهلة .. إنها تقول له مفيش حد حيخلل .. وهى تقصد أن تقول مافيش حد حيخلد .. إنها تساوى بين التخليد والتخليل .. ثم إنه تأمل هدوءها البارد غير المكترث .

وتصاعدت موجة الغضب داخله فقال لها بصوت حاقد جارح : يا تفيدة .. انتى بليدة ..

قالت تفيدة وهى تضحك : انت اللى جبان ..

لم تكن تقصد منها أى إهانة .. أبدا .. لم تكن تريد أن تجرحه .. مطلقا .. ولا كانت تريد اغضابه .. كانت تراه أشجع رجل فى الدنيا لمجرد أنه قسمتها فيها ونصيبها على الأرض .. قالت كلمتها لتضحكه وتسرى عنه .. ولكن كلمتها اصطدمت بسيد أفندى فأحس الجنون ونهض واقفا وهو يصرخ فيها : اخرسى يا تفيدة.. اخرسى يا قليلة الحيا ..

فوجئت تفيدة بزوجها وهو يشتمها .. لقد عاشت معه عمرا لم يرفع صوته عليها ولا أهانها ولا شتمها.. ولكنه يشتمها الآن ..

انهارت تفيدة فى البكاء .. تكومت على كرسى المطبخ وراحت تبكى .. وتنشج .. وتنتحب ..

فوجىء سيد أفندى بما حدث .. تسمر فى كرسيه ولم يعرف ماذا يفعل .. أحس بالحنان نحو زوجته الصابرة ، المسكينة البليدة.. ما هو ذنبها إذا كانت بليدة ..

قال سيد لزوجته : معلهش يا تفيدة .. ما تزعليش .. أنا ما أقصدش ..

ثم سمع سيد أفندى طقطقة غريبة أو حركة احتكاك شىء بشىء .. وأصاخ سمعه ليرى هل يطقطق البيت ليقع أم أن هذا الصوت موجود فى عقله فقط .

كان بكاء زوجته يمنعه من التركيز والانصات إلى الصوت .

صرخ يقول لزوجته : هس يا تفيدة .. اسكتى خالص .. أنا سامع حاجة بتطقطق ..

توقفت تفيدة فجأة عن البكاء ورفعت رأسها وراحت تسمع .. ظل الصوت مستمرا .. قالت تفيدة ..

– ما تخافش يا سيد .. أنا بدور على شبشبى وده صوت رجلى وهى بتدور ..

ظل سيد أفندى واقفا وهو يصيخ سمعه .. وفجأة سمع صوتا هائلا يشبه سقوط حلة من الرف إلى أرض المطبخ .. وأدرك سيد أفندى أن البيت قد بدأ فى الوقوع .. وفى قفزة واحدة كان فى الصالة وفى القفزة الثانية كان يفتح الباب ويجرى على السلم حافيا ، كان يهبط الدرجات ثلاثا ثلاثا .. واصطدم وهو ينزل بصفائح الزبالة ، وأيقظ القطط النائمة فوقع هرج ومرج وزادت الأصوات .. ولكنه تجاوز هذا كله حتى وصل إلى باب البيت ، وقفز فى الحارة ووقف أمام البيت ونظر إلى البيت ..

كان البيت قائما فى مكانه ..

قال لنفسه إن البيت سوف يقع الآن .. وانتظر قليلا فلم يقع ،

ولكنه كان لا يستطيع أن يتصور نفسه داخل بيت يتهيأ للسقوط . كان خوفه قد بلغ درجة لم يعد يفكر فيها بمنطق العقل المعتاد .. ومرت دقائق ولم تصل تفيدة .. هذه المرأة البليدة ما الذى يؤخرها عن النزول .. هل تريد أن تموت تحت أنقاض البيت ؟

كانت الساعة العاشرة مساء ، وكانت الحارة هادئة وهو يقف حافيا بالجلباب الكستور أمام البيت ..

ثم فتح شباك بيته وأطلت تفيدة من البلكونة الصغيرة . وقالت وهى تبحث عنه فى الظلمة : سيد .. يا سيد .. انت فين يا سيد ..

قال سيد : انزلى يا تفيدة ..

قالت تفيدة : اطلع يا سيد ..

عاد سيد يقول : إنزلى يا تفيدة وصحى الجيران ينزلوا معاك . قالت تفيدة وهى تضحك وتبكى : اطلع يا سيد دى حلة وقعت فى المطبخ ..

قال سيد وهو يزداد اصرارا : انزلى يا تفيدة ..

وتردد تفيدة : اطلع يا سيد خللى الليلة السودة دى تفوت .

عاد سيد يقول : انزلى يا تفيدة ..

وعادت تفيدة تقول : اطلع يا سيد ..

واستمر الحوار ..

لا تفيدة نزلت ، ولا سيد طلع ، ولا البيت وقع .. ولا الحوار توقف .



المغنية المعروفة والسيجارة الزنوبيا

كان قصير القامة يشبه وجهه وجه قرد طيب ، ولم يكن فيه ما يجذب اهتمام النساء عموما فهو خجول ثقيل الحرص بطيء الفهم ينطوى على نفسه ، لم يتزوج ولم يفكر فى الزواج رغم وصوله الثالثة والخمسين ، ولم يحب ولا جرؤ على الحب ، ومع تقدم الوقت لم يعد غير كائن حى لا يدرك جنسه، وكان مقطوعا من شجرة فقد مات كل أهله باستثناء قريب بعيد هاجر لأمريكا منذ عشرين سنة ثم انقطعت أخباره .

ومنذ ثمانية وعشرين عاما وهو يعمل فى الأرشيف على نفس المكتب فى نفس الحجرة التى نشع بياضها ونطره ملح الحائط ، فقد كان الأرشيف يقع جغرافيا وراء دورة مياه المصلحة .. وبسبب وحدته فى الكون ورتابة حياته ، لم تكن السيجارة الزنوبيا تفارق فمه ، حتى صارت جزءا من صورته ، وأحيانا كان عبد السيد أفندى ينظر لنفسه فيخيل إليه أنه آخر نوع ممتاز فى سلالة توشك أن تنقرض بموته ، وكانت حيرته اليائسة إزاء هذه الفكرة قد دفنتها فى زاوية غائرة فى الجزء المتأله من روحه .. وباستثناء هذا الجزء البعيد الغائر فى روحه ، كانت كل خصاله البارزة هى البؤس المتواضع ، وكانت أحلامه تراعى واقعه

وتتحلى بنفس الخصلة ، لقد كف عبد السيد أفندى عن التحليق بأجنحة الروح منذ سنوات طويلة ، ولم يعد يعرف متى كان ذلك أو لماذا .

ثم وقع الزلزال ذات يوم فجأة ..

فى البداية فازت المصلحة التى يعمل فيها بكأس أكثر المصالح انتاجا ، ولم يعرف عبد السيد أفندى فيم فازت المصلحة وعلى من فازت وأى انتاج هو الذى زاد ، لقد ظلت حركة الأرشيف على حالها من النوم ، لم يهتز فيها دوسيه ولا نفض أى رف من الرفوف غبار النعاس عن ملفاته ، وأعلن النبأ فى المصلحة كلها . وتقرر عمل حفل ساهر تحييه المغنية المعروفة « س » واستقبل عبد السيد خبر الحفل بتوجس ، وصح توجسه فقد أجبرته المصلحة أن يشترى تذكرة لحضور الحفل ، وخصم ثمن التذكرة من مرتبه ، وفى هذا الحفل الساهر الذى أحيته المغنية المعروفة .. وقع الطوفان وأدرك عبد السيد ما أدركه .

كانت الأنوار ساطعة ، حتى أنه أغلق عينيه وضيق حدقاتهما وراح يدخن سيجارته الزنوبيا ويفكر كيف يحتمل الناس كل هذه الأنوار ، كان واضحا أنه أول من وصل إلى الصالة وجلس فى مقعده فى الصف الأول وراح عمال المسرح يكنسون التراب من خشبه المسرح ويطيرونه نحوه حتى ردموه تماما .. بدأ يسعل فى ألم ، لكنه لم يتحرك من مكانه ، راح يتأمل الأنوار ، لم يكن فى بيته لمبة أكثر من خمس وعشرين شمعة ، أما هنا فكل لمبة تشبه

الشمس ، زادت الأنوار سطوعا وبدأت الصالة تمتلىء بالناس ، وحاصرته الأنوار حتى غرق فى عرق حار رغم برودة الجو ، وراح يدخن سجائره الزنوبيا ليخفى اضطرابه ..

ثم جاءت اللحظة الحاسمة وبدأ صوت الآلات الموسيقية يسمع من وراء الستار المسدل للمسرح .. ثم انكشف الستار وظهرت المغنية المشهورة .. واندلعت عاصفة من التصفيق وصفير الإعجاب ، وتأمل عبد السيد المغنية ، كانت بشرتها مثل بشرة تفاحة نادرة ، أما عيناها فتشبهان بحيرتين واسعتين غامضتين ، أما فستانها فكان يبرق ويضوى كأنه صنع من خيوط الذهب . وزاد احساس عبد السيد بأنها من جنس أرقى من جنس البشر ..

رفعت يدها فساد صمت ، حين نزلت يدها كان المكان قد تحول إلى سفينة من ألحان سكرى بالحب .. وزاد عبد السيد اضطرابا فراح يشد أنفاسا متلاحقة من سيجارته الزنوبيا .. وبدأت المغنية تغنى .. قالت وهى تلتفت جهة اليمين :

أنا مش بحب الحب .. ثم التفتت جهة اليسار وقالت : ولا بحب الهجر .. ثم التفتت نحو عبد السيد أفندى وحدقت فى وجهه وقالت : أنا بحبك أنت ..

واعتدل عبد السيد فى جلسته وقلبه يخفق ، لم يصدق ما حدث للوهلة الأولى ، كانت تخاطبه هو وتنظر إليه بالتحديد . وكانت تبتسم ابتسامة كشفت عن صفين من اللآلىء .. وخرجت من عبد السيد أفندى سحابة من دخان سيجارته الزنوبيا وصعدت

إلى المسرح وأحاطت المـغنية بما يشبه الهالة ، ومـدت المغنية يدها وضـربت الهواء أمـامهـا فانكسـر نطاق الدخـان .. ثم تكرر نفس الأمـر .. فى كل مـرة كـانت المغنيـة تقـول : أنا مش بحب الحب ، كانت تـنظر ناحيـة اليميـن أو اليسار فـإذا قالت أنا بحـبك أنت .. نظرت إلى عـبد السـيد أفنـدى .. حين زال كل شك لديه فى أنهـا تقصده بكلمتها ، وقع شىء غريب داخل الجزء الغائر من روحه .. خيل إليـه أن شحنة من الدفء تطوف على الخرائب المـتدة داخله فتـورق الأشجار وتخـضر الأوراق ، وزال الغيم الكئـيب عن قلبه وولد الربيع داخله ، وراح ينفث دخان سيجارته الزنـوبيا فيصعد الدخان إلى المغنية فـتسعل ثم تذكر عبد السيـد أفندى أن ملابسه مـتربة بسـبب تنظيف المسـرح حين حـضر ، وقـدر أنه ليس من اللائق أن يواجـه المغنية هكذا ، ومن ثم بدأ يـنظف جاكـتتـه فراح يخبط فوقــها بيديه ، وفى كل مرة كـان يخبط فوق جاكتـته كانت سحـابة من التراب تصـعد منه إلى المسـرح وتحاصر المغـنية مع دخان السجاير الزنوبيا .. وحين انتهت الأغنيـة كان عبد السيد قد نظف جاكتتـه تماما ، ولكنه ظل يرتعش داخلها مثل تلميـذ صغير يلتقى بالحب للمرة الأولى .. اكتشف أن سـجائره قد نفدت فخرج إلى الصالة يبحث عن سجائر وهو يفكر فى المغنية بحنان وود .

وداخل كواليس المسرح كانت المغنيـة ثائرة تنتفض من الغضب وهى تردد كلمات مـتقطعة تقول : حـيوان .. الدخان حيعـمينى .. سيجارة سودا وريحتهـا وحشة .. إيه المصايب دى وقاعد ينضف

جاكتته ويطلع منها تراب أنا اتردمت وأنا واقفة أغنى .. ده دسيسة ضرورى بعتاه المغنية إياها .. ده يتشال من الصالة يترمى بره .. أيوه .. يترمى بره ..

وكان متعهد الحفلات يهدىء من روعها قائلا إنه سيقف فى الصالة ولن يسمح لأحد بالتدخين .

وجاء موعد الأغنية الثانية ، وعاد عبد السيد يجلس فى مقعده لم يعثر على أحد يبيع السجائر الزنوبيا .. .

وعادت المغنية تغنى .. وجلس عبد السيد مثل تمثال لا يدخن ، وضاعت عليه فرصته الأخيرة فى معرفة الحقيقة .

انتهت الحفلة وكانت تنتظره مفاجأة .

وقع هرج ومرج واحتدم التصفيق وتقدم مندوب عن رئيس مجلس الإدارة بباقة ورد إلى المغنية ، وتقدم عن العمال واحد ، وفوجىء عبد السيد بمن يضع على صدره باقة ورد هائلة ويدفعه فى ظهره ليقدمها للمغنية نيابة عن الموظفين .

صعد إلى المسرح واقدامه مثل عيدان المكرونة الطرية .. قدم الباقة لها وهو يتأمل وجهها بانبهار وروع ، ونظرت المغنية فى وجهه وضحكت ، كان قبحه يبدو جميلا جوار اضطرابه وانبهاره ، كان واضحا أنه قد تزلزل من فرط الاعجاب بها ، وفى اريحية تشبه كرم محسن يتصدق بحسنة ، انحنت المغنية على وجهه وطبعت على خده قبلة سريعة ..

اشتعلت الصالة بتصفيق حاد ، وقاوم عبد السيد أفندى أن

يسقط من طوله ، وفى هذه اللحظة التى انحنت عليه المغنية شم عبد السيد أفندى رائحة عطر لم يشمها من قبل ولن يشمها من بعد فى حياته .. وتركت القبلة على خده أثرا عجيبا ، فقد التهب جسده كله بدفء مدهش وبقى أثر القبلة رطبا كالنعناع ..

لم يعرف ليلتها كيف نزل من المسرح ، ولا كيف عاد إلى بيته .

كان واثقا أن المغنية قد أحبته من أول نظرة ، ألم تكن تنظر إليه فى كل أغانيها ؟ كانت تنظر إليه وتبتسم فى وجهه ، وحتى لو كان ممكنا أن يتسلل الشك إليه ، وهو الرجل الحصيف ، فقد قطعت قبلتها له وحده كل شك فى نفسه .. جلس على فراشه بملابسه ، ثم تمدد .. أحس أن الأقدار قد عوضت صبره خيرا فى نهاية المطاف ، لقد تجاوزته عشرات النوعيات العادية والتافهة من النساء ، ثم ها هى نوعية ممتازة تختاره فى لحظة نادرة من لحظات التاريخ ..

لم ينم عبد السيد أفندى فى ليلته إلا بعد أن طلع الفجر وانتشر الضوء فى غرفته وكشف عن فقرها وعريها ..

جر على نفسه اللحاف وهو يرتدى ملابسه وحذاءه ، كان قلبه يضىء للمرة الأولى فى حياته .. وراح يستعيد نظراتها إليه ، إيماءاتها له .. تنهداتها .. ضحكاتها الخجولة .. وفى كل مرة كانت تقول أنا مش بحب الحب .. كانت تنظر حولها بعيدا عنه فإذا قالت أنا بحبك أنت نظرت إليه .. كان خده باردا وساخنا فى المكان الذى قبلته فيه .. وتسلل إليه خدر لطيف واستسلم للنعاس ..

وفى الصباح استيقظ عبد السيد من نومه ولم يبرح غرفته طوال يوم الاجازة .. خلافا لعاداته فى أيام الاجازة .. أيضا عزفت نفسه عن الطعام فلم يأكل طوال اليوم غير كسرة من الخبز وزيتونة أو اثنتين ..

كان قد نزل بسفينته فى بحار الحب البشرى الذى لا يعرفه وأسلم سفينته وديعة فى يد الرياح الهوج والموج المتقلب والتيار الخادع ، وكان مطمئنا للكائنات الثلاثة ، فى اليوم التالى عرف عن طريق المصلحة عنوان المغنية ، وكان إذا انتهى عمله فى المصلحة توجه إلى بيتها ووقف ، ويظل واقفا هكذا ساعات على أمل أن تفتح النافذة وتطل منها لأى سبب .. ولم تكن تفعل بسبب البرد ، وأحيانا كان يصعد إلى شقتها ويقف أمام باب بيتها ساعة أو ساعتين ثم ينزل دون أن يجرؤ على دق الجرس أو قرع الباب ، وصارت هذه الرحلات التى دثرها الخفاء سرا من أسرار حياته اليومية ..

وتغير عبد السيد أفندى خلال أسبوعين تغييرات مدهشة .. ضرب سهم الحب بلادته المطمئنة وأطلعه على بؤس حياته وفقرها وكره عبد السيد عيشته المرة واحتقر بيته وتنبه إلى أنه فقير ، وللمرة الأولى فى حياته يتمنى الثراء ، كان يريد خاتما من الماس يهديه إليها ، وأحزنه أنه رئيس بسيط للأرشيف وليس فى مركز يستطيع الاختلاس فيه .. تمنى أن يختلس ويهديها الخاتم ويدخل السجن ويتشرد من أجلها ويحطم مستقبله .

كان يريد دليلا دامغا لا يمكن الشك فيه لإثبات حبه ، وخلال الساعات التى كان يقفها أمام بيتها ، كانت تتعاقب عليه موجات من الحزن والفرح ، والبرودة والسخونة ، والخوف والشجاعة بحيث بات لا يدرى حقيقة نفسه أو سر اضطراب مشاعره ، فى الثانية الواحدة كان يدهمه قطار الفرح الوحشى فيحس أنه أقوى من الشمس ، ثم يفاجئه فى ذيل الاحساس حزن مثلج غامض يشبه الموت ..

وشفت نفسه ورقت تجاه الكائنات فأحب الأشجار والأرصفة وأعمدة النور وحفر الشارع والمبانى القديمة وصار هذا كله جزءا من لوحة زيتية مكملة لها ، وكان يتصورها وهى تتمشى فى بيتها ، وهى تغنى الأغنية التى اعترفت فيها أنها تحبه .. وكان قلبه يذوب فى روحه من فرط الحنان .. وقلت فترات نومه .. كان الشيطان بمهارته يطوف عليه قبل النوم بفكرة أنها قد تمرض أو تموت أو يقع لها حادث أو يصيبها شىء ، وكانت الفكرة توقظه بقية الليل .. كان واثقا أنه سينتحر إذا حدث لها شىء .. يا ربى كم كان حبها ثقيلا مهيبا يكاد يسحق ضلوعه .. فى نهاية الأسبوع الثانى كان عبد السيد واقفا أمام باب شقتها كعادته وقد مرت عليه ساعة ، ثم انفتح الباب فجأة وظهرت من ورائه الشغالة قالت له : أنت جيت .. اتفضل معايا ..

دخل وراءها فأخذته مباشرة إلى الحمام وفتحته له وقالت وهى تشير نحو شىء لم ينظر إليه ..

- الحمام أهه ..

تركته الشغالة وانصرفت .. راح ينقل بصره بين الحوض والسيفون والبانيو وتاهت نظراته ، كان الحمام وردى اللون لامعا يريح الأعصاب ، وأحس أن أحدا ينظر إليه من فوق رأسه ونظر إلى أعلى فشاهد مرآة تغطى سقف الحمام كله .. وزاد اضطرابه فأشعل إحدى سجائر الزنوبيا وراح يدخن ويتأمل صورته فى السقف .. بعد نصف ساعة من وقوفه فى الحمام فوجىء بالمغنية تدخل عليه صفراء الوجه شاحبة العينين وقد ظهرت حولهما الهالات السوداء ، لم تكد تدخل حتى فوجئت بسحابة الدخان فأشارت إلى السيجارة الزنوبيا وهى تأمره بغضب :

- ارمى السيجارة دى حالا ..

ألقى عبد السيد السيجارة من يده وابتسم للمغنية ابتسامة طافحة بالحب ، كشرت المغنية واتجهت إلى السيفون وشدته فلم ينشد ..

التفتت إليه وهى تقول : السيفون زى ما هوه ..

قال عبد السيد أفندى : سيفون إيه ..

طافت المغنية بنظراتها حولها تبحث عن شىء ، ثم سألته فجأة : فين شنطتك ..

سألها بدهشة : شنطة إيه ؟

قالت بنفاد الصبر : شنطة العدة ..

قال عبد السيد : عدة إيه ؟

قالت المغنية بغضب : أنت مش سباك .

قال بصوت مذنب : لأ .. أنا عبد السيد .

سألته بثورة لم يفهمها : عبد السيد مين ؟

قال : حضرتك مش فكراني .. أنا سمعتك بتغنى فى حفلة المصلحة .. يوم الخميس اللى قبل اللى فات .. أنا اللى اديت حضرتك الورد .

وصلت الشغالة عند هذا الجزء من الحديث فالتفتت إليها المغنية.

– لقيتيه فين ده .

قالت الشغالة : على باب البيت ..

اتجهت أنظار المغنية والشغالة إليه .. وظل هو صامتا لحظات قصيرة .. أخيرا نطق بكلمات مدغمة مبتورة ..

– أنا معجب بحضرتك .. حضرتك كنتى بتغنى عندنا فى المصلحة يوم الخميس اللى قبل اللى فات .. أنا عبد السيد رئيس قسم الأرشيف .. عند هذا الحد فهمت المغنية أنه من المعجبين الثقلاء قالت وهى تشير له برقة :

صحيح مالكش حق يا سيد أفندى اعذرنا خالص على سوء التفاهم اللى حصل اتفضل فى أوضه الصالون .. تقدمته المغنية وسار وراءها وهو لا يكاد يرى من فرط انفعاله ..

دخل حجرة الصالون وأشارت المغنية إلى مقعد فجلس فيه ، واستأذنته وانصرفت ، أشعل عبد السيد سيجارته الزنوبيا وملأ

الغـرفة بدخـان هائل حتى غـدا منظره أشـبه بمدخنة سـوداء فى الغرفة .. بعد دقائق قصيرة دخلت المغنية الغرفة وفى يدها صورة لها .. لم تكد تواجـه دخان السيـجارة حتـى بدأت تسعل وتكح .. حركت يدها بالصورة لتـبدد سحابة الدخان ، ثم أسرعت فـفتحت شباك الغرفة وجلست أمامه ..

قالت له بصوت حاقد يفيض بالغيظ : أنت اسمك إيه قلت لى ..

قال عبد الـسيد وهو يبتلع ريقه ويحس أنه سيـموت من فرط الانفعال ..

– أنا عبد السيد ..

قالت المغنية : يا عبد الصمد أنا عاوزة أترجاك فى طلب ..

قال عـبد السيـد وهو يرتعش جدا : أنا رهن اشـارتك : اسمى عبد السيد مش عبد الصمد ..

قـالت المغنيـة بدلال حانق لا يخـفى حنقـه : أنا عـاوزاك تبطل السجاير السودة المرعبة اللى بتدخنها دى .. لحسن حتموت ..

نظر إليها وهو لا يصدق نفسه ..

عادت المغنية تقول بدلال ساخر: يا عبد السيد .. يا عبد السيد..

إنهار عبد السيد تماما وأحس أنه كالماء ينسكب ..

جمع شتات قوته وقال : نعم .. نعم يا افندم ..

قالت المغنية عشان خـاطرى تبطل السجاير المقندلة دى خالص اطفى السيجارة اللى فى إيدك يا عبد السيد ..

أطفأ عـبد السـيد سيـجارته الزنوبيـا وأغرقه حنـان لا نهائى لا يعرف مصدره ..

مـدت المغنية يدها بصـورتهـا إليه وهى تقـول : خذ صـورتى عشـان الذكرى .. أنا مضـيتهـا لك بنفسى .. كل مـا نفسك تروح

للسيجارة السودة دى بص فى صورتى ..

قال عبد السيد وهو يقسم بالله العظيم أنه لن يدخن بعد هذه اللحظة.. نهضت المغنية واقفة وأشارت إليه فتبعها فاكتشف أنها أغلقت وراءه باب البيت ووجد نفسه يهبط السلالم إلى الشارع ..

خرج إلى الشارع فلفحه الهواء البارد فتوقف .

تأكد أنها تحبه .. خوفها على صحته ، صورتها التى أهدتها إليه.. هذا الحنان الذى نطقت به اسمه .. هذا البريق الذى لمع فى عينيها وهى تودعه إلى الباب ..

توقف عبد السيد جوار أحد أعمدة النور ..

وجهه يضىء ومصباح النور مطفأ ..

أحس أن غصة تصعد إلى حلقه .. جاش بنفسه حنان لا نهائى لا يعرف مصدره .. ثم مد يده فاستند إلى عمود النور ..

وفى بيت المغنية كانت المغنية تصرخ فى الشغالة :

- أنتى مجنونة .. أى واحد واقف عالباب تدخليه ..

افتحى شبابيك البيت كلها وشغلى التكييف والمراوح .. مش عاوزة أى ريحة تفضل فى البيت ..

افتحى كل الشبابيك واتصلى بالتليفون شوفى الحصان اللى حيصلح السيفون ..

عاد عبد السيد يسير ..

كان راضيا بنصيبه الرائع من الحب البشرى ، وكان سعيدا إلى الحد الذى لا يعرف فيه ماذا يفعل بنفسه .



فندق النعص

كانت عـقـيلة زهرة برية تشــرب من عــين لم تنبع بعــد من قلب الأرض ..

وكان فيها امتزاج غامض بالكون قبل اكتشافه ..

يومهــا بدأ كل شىء كمــا لو كانت هــذه صورة للأرض قبل أن ينزل إليها آدم .. إن غابات التـفاح والصنوبر تبعث أريجها فى الجو .. والـثلج على قمم الجـبال يشهـق بالبياض والـدهشة ، والفندق يقع على قمة جـبل وحيد .. قريب من عين معـدنية تسيل من صخور الجبل ..

والمكان يبعـد عن بيروت ساعة بالســيارة ، وصل يوسف على طائرة المساء .. ركب سيارة وقال لسائقها :

– فندق النعص فى الجبل .

اكتشف وهــو يصعد الطريق الجبلى أنه لم يعـرف الرعب قبل ذلك طوال حياته ..

كان السائق مجنونا ، والدنيــا حالكة الظلام ، وأنوار السيارات المعادية تبـدو كوحوش أسطورية وسط ســواد الطريق .. وحوش تطق عيــونها بالموت الأبيض الذى يضىء ويجـرى .. وعلى يساره كان حــد الجبل ظلاما مــروعا وخلاء عظيـما .. والهوة تبـدو كفم

للمـوت يبعـد عنه خطوات .. وطوال الطريـق وفم الوحش الفاغـر لم يغلق بعد ..

حين وصل إلـى الفندق .. كان يتـصبب عرقـا باردا ويرتعش. وقفت السيارة أمام باب الفندق فظل جالسا داخلها دقائق ..

أخيرا هبط ..

كان هو النزيل الوحيد فى الفندق ..

فى الشتاء لا يـعمر غرفتـين فى الفندق غير أسرة لطيـفة تملك الفندق .. زوج وزوجة وأم عجوز وطفلان .. ومن المدهش أن أحدا منهم لا يظهر طوال اليـوم .. كانت طريقتهم مبـتكرة فى الترحيب بالضيوف ..

دلف إلى فراشه ونام على الفور ..

حين وقف فى شرفة غرفتـه فى الصباح ملأته دهشة ساكنة . خيِّل إليه أنه يشهد أول شروق على صفحة الأرض .

كانت حـديقة الفندق تضم شجـرة أرز وشجرتين من أشـجار التفاح ، وشجرة توت عجوزة ، وشجرتين من أشجار الكريز ..

وكانت الأشـجار جـميعـا عارية من الثمـار .. كان الشـتاء فى نهايته .. لم يبدأ الربيع بعد ولا انتهى الشتاء ..

الدنيـا شتـاء ربيعى .. والضـباب يبـدو مثل فـراء حول ظهـر امرأة.. والغـابات هناك مثل شعر مـجعد مغـسول بالمسك والزيت الفـرعونى .. ومن الأرض تتـصاعـد رائحـة تشبـه رائحة امـرأة خرجت من البـحر فجـففتهـا الشمس نصف تجفـيف وثمة هدوء

وصمت غريبان .. إن حضــور الصمت يملأ المكان ويتنفس فيه بلا صوت ..

في الظهيـرة سمع صوت نحلة تطوف حــول شجرة التـفاح .. لم تكن هناك غير نبتة خضراء هشة تخرج من جذع الشجرة .

ولم تكن زهرة التـفاح قـد انتهت من تبـديل ملابســها بـعد .. ولا منحت عطرها لأحد بعد ..

واكتشفت النحلة أن الزهرة ترتعش ..

وسألت : ماذا يخيفك .

قالت الزهرة : لم أزل صغيرة .. لم أتعلم منح العطر بعد .

وزامت النحلة وهى تطير مبتعدة فى السماء . خيّل إلى يوسف أنه يلتـقط هذا الحـوار فى اللحظة التى حطت فـيـهـا النحلة على الزهرة الفجة ثم طارت غاضبة .

أحس يوسف بالراحة العميقة .. كان لا يعمل شيئا طوال النهار غير أن يشرب من مياه النبع المعدنية ..

هكذا أنبـأه الطبـيب فى مـصر .. هو الـذى أعطاه عنوان المكان وأمره أن يبقى فيـه أسبوعين .. وكان النبع يبعـد نصف كيلومتر عن الفندق .. كـان يعـرف أصدقـاء كـثيـرين فى بيـروت ، ولكنه لم يتصل بأحد ..

كان قادما من دوامة الأصدقـاء والعمل فى مصر .. حتى سقط يوما إلى الأرض والدنيا تدور حوله .. قال له الطبيب ..

– أنت تبـذل جـهـدا لا يبـذله شـاب فى العـشـرين .. أنت فى

الأربعـين الآن .. يجب أن تتـرك كل شيء وتسـافر .. ابتـعـد عن زوجتك وأولادك وعملك وأصدقائك وهمومك تماما ..

ها هو يجلس تحت الـشمس فى حـديقـة الفندق .. يشـرب كل نصف سـاعـة كوبا من المياه المعـدنية .. ويحتسب كم كـوبا شرب كل يوم .. هذا كل عمله ..

مـرت ثلاثة أيام .. وكان يجلس وحـده فى مطعم الفندق حـين فوجىء بفتاة تدخل المطعم سـاعة الغداء ، وتأكل وحدها فى مائدة بعيدة .

فى اليوم التالـى قال له الفتاة وهى تبتـسم : هل تسمح لى أن أشـاركك مـائدتك .. إننى أخـاف أن أجلس وحـدى فى هذا المطعم الكبير ..

ابتسم مرحبا بها ..

قدمت نفسها إليه قائلة : أنا عقيلة ..

قالتها وسكتت كأنها حدثته عن كل شىء ..

كانت فى الـسابعة عـشرة من عـمرها ، وكان فـى الاربعين .. عاملته فى البداية باحترام كأنه والدها ..

فهـم من حديثـها على الغـداء أنها طالبـة مصـرية فى جامـعة بيـروت .. فهم أنهـا من أسرة نصـفـها من مـصر ونصـفهـا فى بيروت.. فهم أنها تقضى أيامـا فى هذا الفندق كل عام لتركز على استذكارها .. كانت تتفاءل بالفندق كـما قالت له .. كانت فيها دماء ليست مصرية ..

إن شعرها الأشقر وبشرتها الوردية الصفراء تنتمى للساحل الفينيقى .. أما عيناها العسليتان العميقتان فتجرى من دموعهما مياه النيل ..

لم تكن تثرثر ..

كان عدد كلماتها قليلا ومفعما بالافتتان بالحياة .. ورجح أن سنها هو السبب .. وقال لنفسه بعد أن انتهى الغداء أنها فتاه مهذبة وطيبة ..

لم يرها بعد ذلك على العشاء .. ولا رآها فى اليوم التالى حين أفطر.. اختفت يومين، ثم جاء موعد الغداء.. رآها قادمة من بعيد ..

خفق قلبه بفرحة لم يدر تفسيرها ..

سألها وهو يصافحها : أين كنت ؟ .

قالت : مع نفسى ..

كان اليوم هو يوم السبت .. نفس اليوم الذى صادف فيه عماد الدين النسيمى الشاعر الصوفى الأذربيجانى قصة حبه .

« فى يوم السبت صادفت امرأة تشبه ضفائرها عود السرو الرشيق .. » .

فاض الهيام بها وشاعت قصتى فى أنحاء العالم ، ويوم الاثنين فتحت مكنون قلبى لتلك الحسناء ذات العينين النرجسيتين والعذار الوردى والحاجبين المقوسين ..

وفى الثلاثاء خرجنا للصيد .

كنت أنا صيد تلك الجميلة ذات الثغر البرعمى ، وفى الأربعاء خرجت حبيبتى تتنزه فى البستان وانشق قلب البلبل غيرة حين رأى جمال حسنها ..

ويوم الخميس نصحت حبيبتى ألا تفشى سرنا لأصحاب الخير أو الشر ..

ويوم الجمعة تيسر للنسيمى وصل حبيبته .. وقبلت شفتيها الورديتين المحرمتين ..

كيف حالك يا عقيلة .. كان اليوم يوم الاثنين ، قالت : أحس بالضيق والكآبة عندما أدخل الفندق ولا أراك فى حديقته .. أنت عجوز مثل أشجار الأرز ، ولكننى أحبك .. لا .. لم أحبك بعد . صرت أهرم عندما تبتعد عنى .

قال لها فى يوم الأحد .

أحببتك وأنت تتحدثين عن ابنك والخادمة والفستان الأحمر .. رفضك أن ترتدى الخادمة فستانا أحمر أوقعنى فى هواك .. أى سذاجة منى .. كم أكره اللون الأحمر .. أنت لم تتزوجى بعد .. ولم تنجبى بعد .. كيف فاتنى ذلك وأحببتك .. وقالت له فى يوم الثلاثاء :

- أليس الإنسان مظهرا لكل ما فى الكون ، أليس هو الشهور السنين والأيام ..

يوسف .. إن لك ذاتا تتسع للكون .. والكون لا يتسع لذاتك ..

وأحس بالخوف منها وهو ينظر فى عينيها .

واختلط حديثها يوم الأربعاء .. كان يقبل يديها وهما يأكلان .. وكانت تعبث بالشعيرات البيضاء فى رأسه .. وطوال الوقت كان يحس أن خدها المتورد يدفع بحمرة الخجل فى ورد البستان ، وأدهشه أن النحلة ترشف رحيق زهرة التفاح وهو يجلس كالصنم

أمام شفتين لهما مذاق شهد العسل ..

وجاء عليهما المساء يوما وهما يجلسان فى الحديقة ..

نسى أنه جاء يستشفى .. ونسيت أنها جاءت تستذكر دروسها .. وجلسا معا .. مثلما جلس آدم وحواء معا فى أيام البراءة الأولى فى الجنة .

لم يكن أحدهما قد أكل من شجرة التفاح بعد .. وكان كلاهما يرتدى ثياب البراءة العارية .

لم تكن الشجرة قد طرحت ثمارها بعد .. كان الشتاء الربيعى فى أيامه الأخيرة .. واقترب الربيع منهما بغير أن يتحرك .

وبدت النجوم ليلتها أقرب كثيرا مما هى فى الحقيقة ..

خيِّل إلى كل واحد منهما أنه لو مد يديه إلى أعلى لاحترقت من النجوم ..

قالت له وهى تبتسم : أريد أن أشعل أصابعى العشرة لك .

هلى يرضيك أن أشعل أصابعى من النجوم .. قبَّل أصابعها وزحف السحاب على القمر .. مدت يدها وأسدلت شعرها على وجهها .. فعاد القمر إلى الظهور ..

تساءل عن العلاقة بين وجهها وتنفسها ومد البحر وجزره وظهور القمر واكتماله ..

قالت : أحس بالبرد . وأحس أن أشجار الصنوبر تستحى من رشاقتها ..

وأجلسها فى كرسيه وأدفأها بيده وانحنى على وجهها ..

فى اليوم التالى وجد ورقة مكتوبة عل مائدة الغداء ..

« سيدى ..

اسمح لى أن تكون سيدى .. فلى الرغبة أن أكون جارية لرجل لا يمكن أن يكون غيرك » ..

أدهشته الكلمات .. وانتظرها طويلا فلم تظهر ..

وقامت القيامة من فتنة عينيها داخله .. وثقل صدره وبكى بلبل هناك .. كم عانى النسيمى المسكين كثيرا من محنة الفراق . كلما جرى الحديث عن حسناء ..

بجبهة نبيلة وثغر كالبرعم .. ظن النسيمى أنها هى .

أيقن أنه لم يعرف امرأة قبلها فى حياته ، على كثرة من عرف من النساء ..

كانت وديعة الحركات تفوح من شعرها رائحة المسك وتشبه نظراتها الساحرة اذنا بإهدار دم العاشق ..

وجاءت الليلة التى راح يعد فيها شعر حاجبيها المقوسين . ويحاول تقبيل كل شعرة على حدة .. قالت له يومها وهى تبكى فى صدره .

غدا تسافر ..

قال : ليس هناك غد ..

قالت : ستحطم قلبى لو تركتنى ... أفضل أن أتركك أنا .

قال : عندما تغيبين لحظات فحسب .. أحس أننى لم أعد نفسى .. أرانى مع رجل يدهشنى وجوده معى .. لا تتركينى .

نار فى المدفأة .. وتفاحة قضمتها وهى تقول مازحة :

– نفسى بتغم عليَّه يا يوسف ..

يجلس على الأرض أمـام المدفأة .. رأسـها على صـدره .. وهو يتأمل وهج النهـار على جبينهـا البارز .. لم يعد النسـيمى يصلح للمـوقف .. إن جـلال الدين الرومى هو المدفـأة والنار والتـفاحـة والرحيق والدمعة معا ..

« إيها الحبيب .. إننى لم أر طربا فى الكونين بدونك

لقد رأيت كثيرا من العجائب .. ولكننى لم أر عجبا مثلك .

يقولون إن الاحتراق بالنار نصيب الكافر ولكننى لم أر محروما من نارك سوى أبى لهب كم وضعت اذن الروح على نافذة القلب..

فسمعت كلاما كثيرا ولكننى لم أر شفتين .. »

يعد حقيبته الآن ..

لم يعد هو بعد أن تركته ..

يفكر فى عـشرات المشـاكل الصغـيرة التـافهـة .. التاكـسى .. الطائرة .. العـودة .. علبة السـجائر .. النقـود .. الحمـال .. الوزن الزائد .. الجمارك .

أراد أن يبكى .. وأحس بشىء يرتفع فى حلقه ويكاد يخنقه ..

كان على وشك الانهيار كطفل حين دخل الغرفة حمال الفندق.. كتم رغبته فى البكاء وأشار له إلى الحقـيبة وأشعل سيجارته وبدأ يهبط السـلالم أمامه .. راح يهـبط السلالم وهو يحس أن الحـمال يحمل جسدا لرجل مات فى حقيبته .. رجل كان يعرفه هو ..

رجل يهبط معه السلالم وإن كان لا يعرفه .



مذكرات قطة مصرية

ينبغى أن أقدم نفسى .. أنا قطة رمادية اللون طويلة ونحيلة ، وأعتبر فى دنيا القطط من ذوات الجمال الرفيع .. ويقول غير الفاهمين عنى أننى من ذوات الأربع وأننا من جنس خائن . غير أن هذه الشائعة قد انطلقت ولا شك من عالم الكلاب الذى نتنافس معه على قلوب البشر .

ولدت فى مطبعة صحفية قديمة بين أكداس من الحبر والورق ، ورائحة الرصاص ، وعمال المطابع ، ولهذا السبب اكتسبت صفة البروليتاريا وأخلاقهم خلال علاقاتى بالناس فيما بعد .. وكانت أمى قطة بيضاء تركية شديدة الأنفة والجمال والعذوبة .

نهايته تزوجت حين كبرت قطا أصفر تعرفت عليه فى الدور الخامس جوار إحدى صفائح القمامة .. وشدنى إليه العرق البروليتارى كما شدنى جرأته وعاملنى هو بالأدب اللائق بقطة أرستقراطية من الطبقة الجديدة ، وإن كانت أصولها تضرب لجذور الكادحين .

وتزوجنا فى الدور الثالث بعد صراع مرير بين الدور الثانى والخامس . ولما كنا لا نؤمن بتحديد النسل . فقد ولدت أربع قطط صغيرة ..

أرضعت أولادى وتمددت على جانبى فوق البلاط . البلاط بارد منعش والأصوات لم تزل تصل إلىّ من حـجرة نومها . مـا أغرب هذا المخلوق المسـمى بالإنسان إنه يـتكلم أكثـر مما يعمل ويجـادل أكثـر مما يرتاح . ومتـاعبه أكـبر من هنائه وليس فى الدنيـا كلها أعقل منا نحن القطط . نعرف صحتنا ونحافظ جيدا عليها ..لا نكاد نأكل حتى نتمدد على جنبنا ونسـتسلم للنوم ولهذا نعيش طويلا . عـشـر سنوات بالحـساب البـشـرى أو ٣٦٥٠ سنة بالحـسـاب القططى ، وحـياة القطط منتظمـة تماما . هناك ضوءان فـى الدنيا الليل عنـدنا يبـدأ بشـروق الشـمس ونحن لا نـرى جـيـدا ونغلق حدقـاتنا حماية لنا من الضـوء ، وهناك نهارنا الجميل الذى ينام فيـه البشـر ويبدأ من غـروب الشمس . ونحن نرى نهـارنا المظلم الجمـيل أفضل مما نرى فى ضـوء الشمس .. وبعد قليـل يبدأ ليل البشر ونهار القطط .. انتهيت من إرضاع الأولاد ولحس وجوههم واطمأننت إلى نظافتهم وشبعهم .. وبدأت أتمشى نحو غرفة النوم التى لم ينقطع فيها الجدل ، أرهفت أذنى قليلا للحوار .. وفى نفس الوقت تسربت إلى أنـفى رائحة شواء .. كـانت زوجة الرجل الذى يشـتـغل عندى تريد طردى من البـيت .. حـركت أنفى فى اتجـاه رائحـة الشـواء وتركت أذنى فى اتجـاه الحـجـرة لأتصنت ، وبدأ الصراع بين رائحة الشواء وكارثة الطرد ..

كان زوج السيـدة يحاول إقناعها بأننى قطة طـيبة . وأنه ليس من العـدل ولا من الإنسـانيـة أن تلـقى بى إلى الخـارج فى مـثل ظروفى . لم أفهم عبارتين هما العدل والإنسانية يردد البشر الذين

نعيش معــهم هاتين العبارتين كثيرا . وإن كـانت تصرفاتهم تقطع بالكذب الشديد والقــسوة . أى عدل فى حياتــى وأى إنسانية ، إن هناك قصة تتنــاقلها أسرتنا من قديم الزمان .. جـدتى الكبرى هى التى تحكى القصــة .. عاشت جدة جـدتى فى القرن السابع عـشر فى مـصر ، وكـان للقطط أيامهـا مسـتشـفى خاص ، وكـان هذا المسـتـشفى يقع جـوار بيت القـاضى . وتؤكـد جـدتى أن قنصل فرنســا فى مصــر فى عصر لويس الرابع عـشر كـان يحمل اسم دومابيه وأنه كتب هذه الحكاية فى كتاب ظريف له عن مصر ..

وهذه القـصة تثـبت بما لا يدع مجـالا للشك القططى أن حـالنا زمـان كان أفـضل من حالنا الآن .. انتـهى الأمر وعـرفت من أين تأتى رائحة الشواء . من الدور الثالث فى العمارة . من منزل رجل أعزب زرته مرة وأكلـت له نصف فرخة كان يضعـها فى المطبخ ، ولا شك أنه دهش كـثيـرا حين عـاد ليجـد عظام الفرخـة بدلا من الفرخة ، ولعله تصور أن هناك عفـريتا قد أكل الفرخة ، وربما ظن أن سطوا قـد وقع على الفـرخة ولـو علم المجهـود الذى قـمت به للتسلق والمـغامرات التى صـادفتهـا لمنحنى نصف الفرخـة الباقى مكافـأة . لماذا يتسـابق الناس على تسلق جـبال الألب ويمنحـون مكافآت ، وتضرب القطط عندما تتسلق شيئـا يعتبر بالنسبة إليها أعظم من جبال الألب . رائحة الشواء تزداد ومعركة الجدل لم تزل محتدمة داخل غرفة النوم .

لا ريب أن هناك ضــيفـا عند هذا الأعـزب .. هذه رائحة شــواء لا يمكن أن يطهوه رجل .. ذقت طـعامه مرة ولولا الجـوع الشديد

لما اقتربت منه .. طريقـة الرجل فى الطهى شىء يصد النفس . أما هذه الرائحة فهى رائحة شواء تعـده امرأة . أستطيع أن أميزه بين ألف فرخـة مخـتلفة . هذه مـوهبة القطط . فـتح باب غرفـة النوم وخرج الزوج وعلى وجهه تعبير مضحك من اليأس والاستسلام . رفعت ذيلى تحية له .. اعـتقد أن النازى كانوا يقلدون القطط برفع أيديهم مثلما نرفع نحن ذيلنا . لم يلتفت الزوج لتحيتى . قفزت إلى قدميه وتمسحت به . لانت ملامح وجهه ورمقنى بعطف . ما أغرب الناس فى مصر لماذا لا يفـهمون المشاعر الناعمـة ، الآن أفهم سر تعلق الناس بـالكلاب بدلا من القطط إن الكلـب يبـالغ مـثل ممثلى الدرجـة الثالثـة ، وهو لكى يرضـى سيـده يهز ذيله ويهـز وسطه ويترقص له ويحرك جسمه ويتواثب حوله ويلعق حذاءه . أما نحن القطط ـ فنكتفى برفع ذيلنا إلى أعلى . والفرق بين تحـيتنا وتحية الكلاب هو الفـرق بين الأداء الناعم للممـثل والأداء الخشن المبـالغ فيـه . وعندما يربت أحد على رؤوسـنا أو يمسح الفروة الجـميلة الناعمة التى تغطـى أجسامنا . نخرج أظافرنا من غـمدها ونقبض أيدينا ، وهذه الحـركة تعنى أشـكرك . لا نقفـز أو نتواثب أو نهـز وسطنا . ويبدو أن العصر الحديث يحتـاج لكمية أكبر من النفاق ، كى يرضـى الناس ، وهذا شىء مؤسف .

خـرجت الزوجة من غـرفـة النوم . خفـضت ذيلى على الفـور ونظرت إليها ، ورفضت أن أحييها .. صـادفت عينى عينيها ، ورغم ذلك رفـضت أن أحيـيهـا . لم تلق بالا لهذه الإهانة .. تنحـيت عن طريقها بخـفة حتى لا تصطدم قدمـها بى فتصرخ بـأعلى صوتها

أننى أتحـرش بها وأتحـداها ، فمن الواضح أنهـا تتلكك . سمـعت مـواء على السلم . آه .. ها هو زوجى يعـود .. أسرعت إلى البـاب ونونوت له فنونو لى قـائلا : اخـرجى بسرعـة قلت له : الزوجـة مستيقظة والجو لا يسمح ..

عاد زوجى يموء إنـه ميت من الجوع ، وأكد لى قولـه بأنه قفز داخل صفـيحة القمـامة وراح يدعبس فـيها . شـدنى العطف عليه رغم دناوته وفراغة عينه . تصورت فى البداية أنه مشتاق إلىّ ، ثم صدمنى بقوله إنه جائع . لم يكن مـشتاقا إلىّ إذن . إنه يغيب عنى بالأسبوع ينصـرف من عندى نظيفا أنيقـا ويعط خارج الحى كله بالأسبوع ، ثم يعود إلىّ قذرا وجـائعا وقد فقد نصف وزنه . وأنا أشاهده كثـيرا مع قطة صفراء هزيلة فى الجـراج المجاور . لكننى لا أغار . فالغـيرة ليست من طبع القطط المهذبة . الغيـرة إحساس سوقى إذا كانت صـادرة من قطة أو قط . ورغم أنه يقول لى ذلك إلا إننى لا أنكر أن شواربه اهتـزت بغضب هائل حـين شاهد قطا يحوم حول باب البيت ، وكانت بينهما معركة عظيمة انتهت بهزيمة القط الغازى ومرمـغته على السلالم . تسللت إلى المـطبخ بحثا عن طعـام لزوجى الذى يتزايد مـواؤه . كـانت الزوجة تغطى الطعـام جيدا وتضع عليه ثقل الهون العظيم حتى لا أستطيع تحريك الحلة. حقدت عليها فى أعـماقى . أغلب الظن أننا سنتعشى هذه الليلة عند الرجل الاعزب . قـفزت من شـباك المطبخ إلى شبـاك السلم . قلت لزوجى : لا تبحث عن شـىء هنا ، هناك وليمة فى الدور الثالث .

سألنـى زوجى : ألم يطبخـوا شيئـا هنا . أشار بشـواربه إلى

البـيت الذى أسكن فيـه رددت عليه بأن حكيت له عن الهـون الذى وضعته الزوجة على غطاء الحلة كيلا يسرق الطعام أحد . وقلت له إننى أتمنى أن يضعها زوجها فى السـفينة التى تسافر إلى القمر ، لكن زوجى قال : هذه فكرة خـيالية .. تعـال نجرب أن نرفع غطاء الحلة ، إذا فشلنا صعدنا إلى الدور الثالث .

ووقفنا ننتظر فى الظلام أن ينام أهل البيت .

لم أسـتطع رغم مسـاعدة زوجى القـوى أن نرفع غطاء الحلة.. كانت الزوجـة لئيـمة إلى الحد الذى أطـبقت فيـه الغطاء على حلة اللحم بشكل لا يسمح للجن نفسه بتحريك الغطاء .

فشلت كل محاولات زحزحته .

قـال زوجى بعــد أن نفـرت شـواربه وكلت عـضـــلاته يديه وانقصف له أحد أظافره :

لا أمل ، المرأة فى غاية اللؤم ، وقد أحكمت الغطاء .

قلت له : ألا نتـعـشى بقطعـة من الجبن بدلا مـن اللحم . هناك قطعة من الجبن تركتها الشغالة على ظهر الدولاب .

قـال : أنت طالق لو تكلمت فى مـوضـوع الجبن ، مع وجـود اللحم، هل جننت يا امرأة .

قلت : لقد فشلنا فى تحريك الغطاء .

قال : لم نفشل بعد .

قلت : فكر لنا بذهنك النِّير ولك علىّ التنفيذ .

قال : ولماذا لا تفكرين أنت . لقد صدىء مخك من كثرة التدليل. أنا الملوم فى نهاية الأمر . ليتنى تزوجت قطة كـادحة وذكية . لقد صرت بليدة .

قلت : بل أنا المخطئة لزواجى من قط عربجى أول كلمة فى قاموسه هى الطلاق ، كان أمامى القط الرومى المهذب .

قال زوجى : ملعون أبو القطط الرومى جميعا وعلى رأسها القط السالف . لا تشغلينا الآن بمناقشات غبية مثل مناقشات الآدميين .. يجب أن نحل المشكلة . يجب أن نرفع غطاء الحلة مهما كلفنا الأمر .

قلت : من الصعب تعتعة الغطاء .

قال زوجى : هل قلت تعتعة الغطاء .. أم زحزحة الغطاء .

قلت : ما الفرق ؟

قال : فرق كبير . لقد سقط من فمك الجميل حل المشكلة . انتهى الأمر واهتديت إلى الحل . الحلة فوق دولاب المطبخ ؟

قلت : نعم ..

قال : لو أسقطناها من الدولاب إلى الأرض . لو زحزحناها هذه المسافة فسوف يسقط الهون ، ويسقط الغطاء وتنفتح الحلة .

قلت : فكرة عظيمة . لم نستطع تحريك الغطاء . فكيف نستطيع تحريك الحلة ؟

قال : لا تزالين غبية كما عهدتك منذ أول الزواج . عيب القطط المرفهة أنها من فرط التدليل لا تفكر فكرة صائبة أبدا .. لا تفكر إطلاقا . لماذا تفكر ؟

قلت لزوجى : لم تقل لى كيف تحرك الحلة .

قال : طبقا لقوانين الميكانيكا .

قلت : زدنىَ إيضاحا من فضلك .

قال : سنصعد أنا وأنت على الحلة . مفهوم .

قلت : مفهوم .

قال : سنضع ثقلنا نحن الاثنين على أحد جوانبها .

قلت : وبعدين ؟.

قال : ولا قبلين .. ستسقط الحلة ونسقط معها من أعلى الدولاب . بعد أن تسقط سيذهب الهون فى ناحية وينخلع الغطاء من شدة الصدمة ، وتسقط محتويات الحلة من اللحم فى أفواهنا لقمة مباركة هنيئة .

قلت : ماذا لو سقطت الحلة على رأسى وهشمته . هل تريد قتلى ؟

قال زوجى القط وهو ينفخ شواربه :

لأنك مدللة لا تفهمين بسرعة . خيالك ضحل مثل خيال القطط الناعمة . أثناء سقوط الحلة من أعلى إلى أسفل سنسقط معها .. مفهوم .

قلت : مفهوم .

قال : قبل أن تصل الحلة إلى الأرض ، سنضرب شقلباظا فى الهواء ونبتعد عنها ، ثم نهبط على أقدامنا حيث تكون قوانين الميكانيكا قد فعلت فعلتها وانخلع الغطاء ..

قلت : مغامرة مهلكة لكننى أفعلها من أجل عيونك البنفسجية .

قال زوجى .. وزوجى أحيانا يقول كلمات مأثورة :

ليست هنا عيون بنفسجية مثل عيون اللحم والسمك .

قفزنا إلى الدولاب . وأسقطنا الحلة . وفوجئنا بما حدث بعد

ذلك . أحدث سقوطها دويا هائلا يشبـه انفجار الدنيا سقط الهون على البلاط أولا محدثا ضجة مدوية ، وتبعته الحلة فأحدثت ضجة أعظم . وتناثرت هضاب اللحـم وتلالها على أرض المطبخ ، وراحت تتنطط طبقا لقوانين الجاذبية .. وأسرعنا وراءها فى الظلمة ، وقبل أن نضع أيدينا عليها كان المطـبخ يسبح فى النور . وكانت الزوجة تمسك فى يدها بالشبـشب وهى تصدر من فمهـا صوتا أعظم من سقوط الحلة .

وفكرنا بســرعـة .. كان الخطر المـمثل فى ظهـورها أقـوى من الإغراء .. أسرعنا ـ زوجى وأنا خـارجين من المطبخ تاركين اللحم على الأرض قبل أن نذوقه .

اختبـأنا لحظات ، ثم فوجئنا بنور البيت كله يضـاء ، فقفزنا من الشـبـاك المفتـوح نحـو السلم . قـال زوجى وهو يجـرى أمـامى خضتنى الولـية . لم يبق إلا شقة الاعزب تقـولين أنه شوى اللحم اليوم . سنضطر لدعوة أنفسنا على مـائدته بغير علمه لم أكن أريد التطفل ، لكنها امرأة لا تطاق .. هذه السيدة التى تعيشين فى بيتها ما الذى أيقظها .. لم تكن نائمة إذن .

اللعنة عليها وعلى البشر بوجه عام .

كان بيت الأعـزب مطفأ الأنوار حـين تسللنا من شبـاك المطبخ المفتوح . دخل زوجى مباشرة إلى المطبخ .. على حين انصرفت أنا لأتحسس الجـو وأطمئن على خلوه من الرقابة ، كـان الأعزب فى إحدى الغرف وقد وارب الباب ، وكان النور مطفأ فى الغرفة وكان معه صوت نسائى وكانت المناقشة محتدمة بينهما .

كانت المرأة تقول : سئمت هذه الحياة . لست صرصورا لأعيش فى الظلام تزوجنى .. تزوجنى أو اتركنى .. هذه هى المرة الأخيرة التى أزورك فيها ..

قال الصوت الرجالى :

– ظروفى لا تسمح . وأنت تعلمين أننى أحبك وأعبدك وليس فى حياتى غيرك .

قالت : ما أسهل الكلام .

قال : بل أقسم إننى صادق .

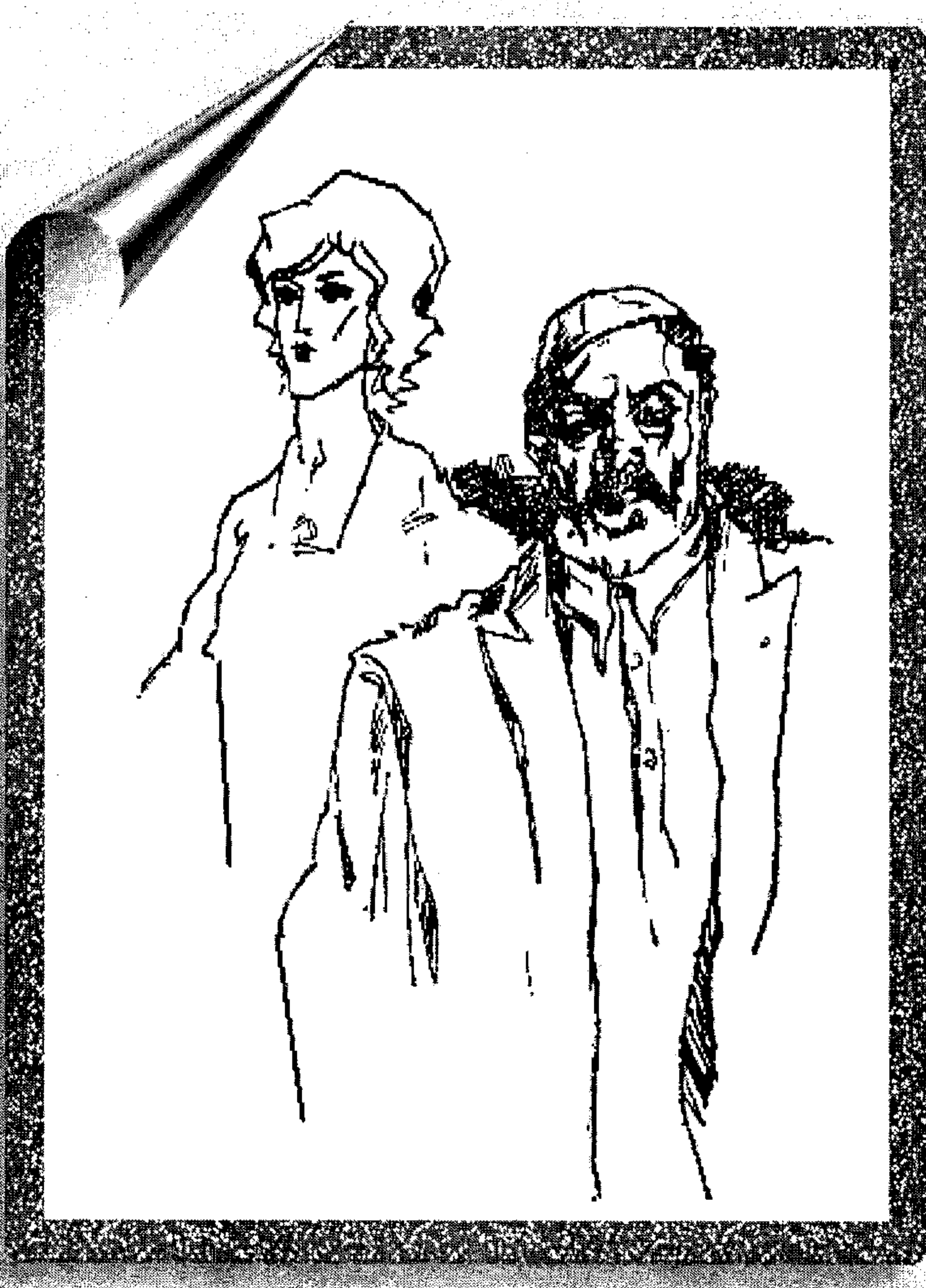
سمعت صوت طرقعة قبلة . وسمعت فى نفس الوقت طرقعة عظام فرخة تتهشم وأسرعت إلى المطبخ . كان زوجى يضع يديه الاثنتين فى صدر فرخة محمرة جرها على الأرض وراح يأكل فيها بأسنانه .

قلت له : لماذا لم تنادنى حين عثرت على الفرخة ؟

قال : وهو يزدرد نصف صدر الفرخة : كيف حال الجو العام فى الشقة .

قلت : صاحب الشقة يتناقش مع صديقة له .

قال : أمامنا وقت طيب إذن . إليك ورك الفرخة . أعرف أنك لا تحبين الصدر ما داما يتناقشان فأمامنا وقت كاف . غير أن الأفضل أن نسرع .



بنت المعلم نقدية

إن الدكتور سمير المدرس الجديد بأحد المعاهد التابعة للجامعة يغادر الآن قاعة المحاضرات بخطوات وئيدة وجلال مهيب ، يجب أن يفهم الجميع أنه يضع العدالة ، والنظام ، والعلم فوق سائر قضايا الحياة على الإطلاق .

لقد شخط فى إحدى الفتيات وكانت تضحك لغير ما سبب والضحك دون سبب هو قلة أدب ، أشار بيده إلى باب القاعة وأمرها أن تخرج على الفور ، شاع داخله انتصار سريع حين انسلت خارجة .. ليكن إنها ابنة وزير أو رجل له أهميته ، ليس هذا مهما الاحترام أولا وبعد ذلك العلم ، رمقته فتاة تجلس فى الصف الثانى بعينين طافحتين بالحب . اليوم يزور والد هذه الفتاة الثانية ليخطبها منه .. نعم .. هذه هى الفتاة التى تصلح له زوجة ، راقبها ثلاثة أسابيع فرآها صامتة ساكتة معظم الوقت كالضربة ، شعرها يبدو ناعما من المكوى ، ولكنه سيختلف كثيرا عندما تغسله ، لا يعرف الدكتور سمير هذه الفوارق فهو رجل جاد قليل الخبرة بالنساء . أعجبه فى وجهها ثقل دم يبدو أنه موروث وليس مكتسبا . أنيقة غاية الأناقة .. لم يرها تكلم أحدا على الاطلاق ، ليس لها صديق ولا صديقة..كل رغباته فى الزوجة متحققة فيها .

تردد طويلا ثم حزم أمره واستطاع أن يكلمها .. كان جادا

رصينا حين استدعاها لغرفة المدرسين وسألها مباشرة وهى تقف أمامه :

- عندك مانع أتقدم لجوازك ؟

خفضت رأسها واكتسى وجهها بحمرة ، كان واثقا أنها حمرة الخجل .. قالت بصوت خافت :

- حضرتك اتفضل روح لبابا .. عاود سؤالها ملحا : يعنى انتى ما عندكيش مانع ؟

سكتت فحدث نفسه أن السكوت رضا ..

سألها : والدك اسمه إيه ؟

قالت : اسمه سيد نقدية .

سكتت عن الوظيفة فسألها :

- بيشتغل إيه ؟

ترددت قليلا ثم قالت : بابا تاجر .

سألها عن عنوانه فكتبت له العنوان وأسرعت تجرى من أمامه.. ملأه الرضا عنها . هذا هو الأسلوب الذى يحبه .. هذا هو خفر العذارى وحياء المهذبات . نعم .. هذا ما يريده من المرأة .. لا يهمه الجمال أو الثراء أو العقل المهم هو الحياء يستطيع الدكتور سمير أن يحتمل القبح والفقر والغباء ، لكنه لا يستطيع أن يقاوم نفوره من قلة الحياء أو السوقية ، إن القبح الشكلى أمر لا دخل للإنسان فيه ، والفقر هو الآخر أمر يخرج عن يد الإنسان ، فربما بذل المرأ جهده ثم عاكسته ظروف خاطئة فى تركيبة البنية الاجتماعية ، وإذن فلا يوجه اللوم له إن صح عزمه على الثراء فلم يستطع.. أما الغباء فأحيانا يورث وأحيانا يجىء نتيجة للفقر وسوء التغذية ،

ولا لوم على الغبى طالما أن إرادته تنفر من الغباء وإمكانياته تفرضه ومثالها السوقية .. وهذا ما يرفضه تماما .

بهذا راح الدكتور سمير يحدث نفسه وهو ماض للقاء والد الفتاة التى وقع عليها اختياره .. كان مطمئنا لاختياره تماما .

إن البنت تبدو محترمة وراقية .. ثمة خيط من التردد كان فى قرارة مسألة اسم والدها ومهنته .. أليس اسما غريبا بعض الشىء نقدية .. سيد نقدية .. ليست هناك عائلة بهذا الاسم فيما يعلم.. لقد درس تاريخ الاجناس ودرس التاريخ المصرى وهو متأكد تماما من عدم وجود عائلة بهذا الاسم ، كان يتمنى أن يتزوج امرأة من عائلة عريقة لا يهم أن تكون فقيرة ، المهم هو العراقة ، إن أحد أجداده كان ينحدر من نسل أمير من الأمراء القدامى ، كانت أمه تتحدث عن هذا الجد البعيد باحترام يوحى بأنه لم يزل موجودا ومؤثرا ، وصحيح أن هذا الجد كان مبذرا فلم يترك ثروة ما وإن ترك حجة طويلة تتحدث عن أسلافه الذين ينتهون إلى نسل شريف من الشرفاء .. وربما بسبب ذلك حافظ الدكتور سمير على رقيه الداخلى الموروث وكره السوقية كراهية شديدة . أبوها تاجر هذا معناه أنه يمكن أن يكون غنيا ، لم يكن الدكتور سمير يرتاح للأغنياء كان يشعر فى محضرهم بعدم استقرار يجهل كنهه ، يبدو له الأغنياء أنهم وجه السوق ، وليس للسوق وجه فهو يتبدل ويتغير كل يوم بل كل ساعة ومن ثم لا يمكن تحديد ملامحه ، ولعل هذا الوجود والخفاء معا كانا يدفعان فى نفس الدكتور سمير بشعور خفيف من القلق .

من يدرى .. لعل الرجل يكسب ثلاثمائة جنيه فى الشهر ، ليس

المبلغ كبيرا إن مرتب الدكتور سمير يبلغ خمسة وستين جنيها فى الشـهـر ، وصحـيح أن المبلغ صـغـيـر إلا أنه لا يشبع حـاجـاته الأساسية ، ورغم ذلك لم يعتد دكـتور سمير أن يشكو أبدا ، وإنما كان يكبت رغباته ويتـتبعها فى مصادرها ويقـضى عليها . أخرج من جيبه عنوان والد زوجته المسـتقبلة وقرأه وابتسم .. ماذا يكون إحساس هذا الرجل به وهو يتقدم إليه ـ قطعا سينبهر به الرجل .. فهو قيمة علمية واجتماعية وإنسانية معا وأخيرا هو من الاشراف.

كان الدكـتور سـمـيـر يمشى منذ عـشر دقائق فى طريـقه إلى مكتب والد زوجـته .. دخل حـارة محطمـة تتراكم على جـوانبـها الزبالة ، كأنها تنتـمى لمدينة مهجورة . رفـعت القطط رؤوسـها من أكوام الزبالة ولمعت عيونها باحتجاج كأنها حارسة الجحيم وهناك من يقتحم خلوتها ..

قال د. سمير فى نفسه يستحيل أن يعمل رجل فى هذه الحارة ويكون غنيـا ، اطمأن قلبـه لفـقر حـماه ، ولكنه اندهش من أناقـة ابنته. إن أناقتها توحى بالثراء . ظل يتقـدم ثم صعد سلما صغيرا أسلمه إلى قاعة واسعة تختلف تماما عن الحارة ..

كانت القاعة مفروشة بالموكـيت الأخضر بينما الحيطان مجلدة بالخـشب ومن وسط السـقف تتدلى نجـفة مـن الكريستـال الذى يبـرق ، وكانت هناك ثلاثـة مكاتب فى الغرفـة مكتب للسكرتيـرة ومكتـبان لاثنين من الموظفـين ، وآلة كـاتبة تجلس أمـامهـا فتـاة منكسرة تختلف عن السكرتيرة ، وكان هناك من يجلس وهناك من يقف . قدم كارتا لأحد الموظفين فوضع الكارت أمامه وأشار له أن يجلس .. جلس الدكتور سميـر ، كان مضطربا بعض الشىء ، كان

وجـود النجـفة وسط هذا الديكـور المودرن يوحى له بالسـوقيـة البالغـة ، وتشاءم قليلا ولكنه راح يرتب أفكاره .. سيـقول لوالدها أنه يريدها ، سيتحدث له عن حالته بكل كبرياء يليق به كواحد من الأشراف وحفيد أمير متلاف .

بدأ الجو حـوله يجذب انتـباهه أراد أن يتـبين مـهنة الوالد ، لم يمض وقت طويل حـتى أدرك الدكتـور سمـير أن الأب يعـمل فى تجارة السيارات والاستيراد عـموما ، وكانت الأرقام تتواثب حوله فى المكتب ، فلا تبدأ بأقـل من سبعين ألفا وتظل تصـعد حتى دار رأسه .. وفى هذه اللحظة استـدعاه أحد الموظفين للقـاء المعلم سيد نقدية .. دخـل غرفة فـيهـا مكتب هائل يجلس وراءه رجل يرتدى جلبابا وبالطو ، وأمـام المكتب مجموعـة من الكراسى الوثيرة التى يجلس فيها اثنان من المعلمين ، لم يرتـح الدكـتور سمير لمنظرهما أو لشواربهـما الضخـمة أو كمـية الخـواتم الذهب فى أصابعهـما صافحـه المعلم نقدية وهو جالس .. وأغـضب الدكتور سمـير هذا التصرف وبدا له الأب سـوقيا للغاية .. جلس وقدم نفـسه بألقابه العامية ، وقال أنا كنت أحب أشوف حضرتك لوحدك .

قـال المعلم وهو يشـير إلى الرجلين : الاثـنين إخواتى وسـرى عندهم وسرهم عندى ..

قال د. سـمير : أنه جاء بشـأن العروسة .. قـال المعلم نقدية : العروسة مهرها غالى .. أنت شفتها .

قال الدكتور سمير : أيوه شفتها .

قال المعلم نقدية : جاهز تدفع على طول ! سكت الدكتور سمير تماما . ارتـج عليـه كما يقولون .. بدا له الأب سوقـيا إذ يتكلم عن

ابنته كسلعة من السلع وأمام رجال ليسوا من الأسرة ..

قال المعلم نقدية : سكت ليه يا دكتور ..

قال الدكتور : بفكر فى صراحتك ..

قال المعلم نقدية : الصراحة مافيش أحسن منها .. اللى ينكسف من بنت عمه ما يجيبش منها عيال ..

كان المثل سوقيا هو الآخر .. وبدأ الدكتور سمير يحس بالإحراج البالغ .

قال : المسائل دى يصح يكون الكلام فيها لوحدنا ..

قال المعلم : ما قلتلك المعلمين حبايبى وسرى عندهم .

قال الدكتور : حضرتك قول ..

قال المعلم : أنت فى السوق وتعرف سعر السوق ..

فكر الدكتور سمير عند هذا الحد أن ينهض واقفا ويدلى بتصريح مؤاده أنه ينوى أن ينسحب . إن سوقية الرجل فى الكلام عن ابنته قد بلغت القمة وفاجأه الرجل بسؤاله أنت شفتها تستاهل والاّ ماتستاهلش ..

قال دكتور سمير : العفو يا معلم دى ما تتقدرش بفلوس .

قال المعلم : عشت الله يحفظك .. مهرها ثلاثة وثلاثين ألف ونص .. وسايب لك خمسميت جنيه .

لو أن صفعة نزلت على وجه الدكتور سمير لما أوصلته لحال الانزعاج الذى وصل إليه ، أحس أن المعلم نقدية يغالى فى مهر ابنته كثيرا .. إن هذا يشبه التعجيز ..

قال د. سمير : ده كتير قوى يا معلم ..

قال المعلم نقدية : اسأل المعلمين واخدين اختها بكام .

على عجل فلم يتمسك بوجودهما ، وبقى المعلم نقدية والعريس المتقدم وحدهما فى الغرفة .

قال المعلم : حضرتك بتشتغل إيه قلت لى ؟

قال د. سمير : أنا حاليا مدرس بمعهد التذوق أنا حاصل على شهادة الدكتوراه فى الانسانيات .. موضوع الرسالة .. قاطعه المعلم : كلك إنسانية .. بس البنت لسه خضرا وصغيرة .

سكت الدكتور سمير تماما واعتبر أن المعلم يرفض .. لم يعرف ماذا يفعل .. فكر أن ينهض ليستأذن ولكن أحدا دخل الغرفة وقال ده : الاسطى محمود وصل ..

قال المعلم ببرود : خليه يخش .

دخل الاسطى محمود فرفع يده بالتحية وقال : كله تمام يا معلم .. العربيات كلها وصلت واتجرشت .. قال المعلم : طيب .

قال الأسطى : بكره فيه عشرين سواق مسافرين يجيبوا الباقى.. عاوزين ١٢٠ ألف جنيه عشان نخلص ع الجمرك .

سأل المعلم حانقا : الواد فتحى ما صرفشى ليه اللى هوه عاوزه م البنك .

قال الأسطى : لا مؤاخذة ما لحقش البنك .. الشيك لسه وياه ..

قال المعلم : الله يخرب بيوتكو .. دلوقتى أنا أديك ١٢٠ ألف جنيه وأقعد من غير فكة ازاى .

قال الأسطى معلش يا معلم ..

استدار المعلم نحو خزينة حديدية بجواره وفتحها . نظر الدكتور سمير فى الخزنة فأصابه الدوار ..

جذب المعلم عدة رزم مالية من فئة المائة جنية وعد ١٢٠ رزمة

صغيرة ورماها على المكتب وهو يقول بازدراء شديد :

– شـيل وامشى من قـدامى .. وبكره الصـبح يصرف الشـيك ويبعت لى الفلوس على هنا .

انصرف الاسطى مـحمود على الفـور ، أغلق المعلم باب الخزنة والتفت إلى الدكـتور سميـر وسأله : حضرتك دكـتور باطنى والاّ دكتور فى إيه .

قال د. سمـير : فى الانسانيات .. أنا حـاصل على دكتوراه فى الانثروبولوجى .. قال المعلم وهو يميل برأسه : فى إيه .

قبل أن يجـيب الدكتور سـمير دق جـرس التليفـون فرد المعلم سيد ، ظل يستمع قليلا ثم قال بهدوء : ما تزعلش يا معلم صبره ، السـوق كده النهـاردة .. السـوق قلاب .. الخـسـارة القريبـة ولا المكسب البعيد .. أنا رقبتى سدادة ..

وضع السماعة ونظر للدكتور سمير وقاسه بنظراته وسأله :

– مـا تأخـذنيش يا دكـتـور .. أنت مـا كلمـتنيش عن حـالتك الاجتماعية والمادية ..

بلع الدكتـور سمير ريقـه بصوت مسـموع ، كان مشـهد المائة والعشرين ألف جنيه لم يزل ماثلا أمامه .

شحب وجهه وهو يقول : أنا مرتبى خمسة وستين جنيه ..

قال المعلم سيد وهو ينحنى قليلاً على مكتبه ..

– فى الشـهر ؟

قال الدكتور سمير : أيوه .

قال المعلم سيد نقدية : لا حول ولا قوة إلا بالله .. الحقيقة البنت لسه صغيرة ، البت مش بس صغيرة .. فيه مانع تانى .. ابن المعلم

حنفى متكلم عليها من سنتين وحاجزها .

طبعا إحنا كنا نتشرف بـحضرتك لو مافيش الموانع دى .. انت راجل كلك فلوس وإنسـانية .. والله يـا دكتـور الدنيا دى قـسمـة ونصيب .

لا حول ولا قوة إلا بالله .

ظلت الكلمات تتردد فى ذهن الدكتـور سمير وهو يشق طريقه خارجـا من الحارة ، وعـادت القطط ترفع رؤوسـها من صفـائح الزبالة وتتأمله بنظرات مستنكرة .

سار شاحب الوجه مقطب الجبين ..

داخله حزن شـتائى غامض ، وإحـساس ثقيل بالمهـانة ، وكان أكثـر ما يـؤذيه أنه لا يعرف كـيف يعالج هذا الاحـساس القـاهر بالمهانة ..

وفى اليوم التـالى حين وقف يلقى مـحاضرتـه تجنب تماما أن ينظر فى اتجاهها .. وظل طوال المحاضـرة يحاذر أن يقترب بنظرة منها ..

ظلت نظراته مصوبة فى الفراغ أمامه وهو يتحدث .



القرش الماسح

إن رجلا مـعلقا فى أتوبيس السيـدة ويوشك أن يسقط ، لكنه يسمع صوت الكمسارى الآمر : تذاكر يا أستاذ يا اللى على السلم ..

لما أعرف أقف بس .

– تذاكر يا أفندى يا اللى عا السلم .

بقول لك واقف بنص رجل ومشعلق بأيديه الاثنين .

– تذاكر يا بنى آدم يا اللى عا الـسلم .. المفتش فى درجة أولى وممكن يأذينى عشانك .

يعنى أقع أموت عشان أديك صـاغ .

– اطلع فوق وهات تذكرة .

ونظر محمـد أفندى إلى هذا الفوق الذى يتحدث عنه كـمسارى الاتوبيس . ولم يكن هناك فـوق .. كل الناس كانوا تحت بعـضـهم وتحت الضـغط وتحت الزحام .

ولقد كان واضـحا أن فراغ تورشيللى الذى أفنى العـالم حياته فيه قد تحقق فى الأتوبيس بعد ثلاث محطات من تحركه . لم يكن داخل الأتوبيس هواء . كل الهواء تسرب إلى الخـارج بعد العجينة التى مـلأت الأتوبيس ، عـجـينه الرؤوس والأجـسـام والأيدى

وحقائب السيدات والأقدام . وكان الكمسارى قد سجل عشر سنوات من عمره فى العمل وتناقص إحساسه بالزحام وزاد تقدمه ، فأصبح يعرف كيف يعالجه وينفذ منه .

وهكذا ظل الكمسارى يحشر نفسه بين الركاب حتى وصل إلى محمد أفندى وهو يقف على السلم مع كثيرين غيره .. وعبثا حاول أن يحصل منه على ثمن التذكرة .. كان محمد أفندى واقفا بطريقة لا تسمح له بأن يحرك أى جزء من جسمه غير لسانه ..

أخيرا جاءت المحطة ووقف الأتوبيس قال الكمسارى :

- يللا يا أستاذ .. الأتوبيس وقف .. طلع الفلوس .

ونزل محمد أفندى ومد يده فى جيبه ، وفكر أن بيته اقترب كثيرا ولم تعد عليه غير محطة واحدة . لماذا لا يسير هذه المحطة إذن ؟

واستدار محمد أفندى وسار . ترك الأوتوبيس واقفا وترك الكمسارى مادا يده وسار .

واقتتلت الشتائم على فم الكمسارى . وضج نصف الأتوبيس بالضحك .. وتساءل النصف الثانى عن الحكاية .. وقال أحد الركاب للكمسارى :

- كده يضحك عليك وينزل .

والتفت الكمسارى لصاحب التعليق :

- تذكرتك تخلص المحطة الجاية يا حضرة .. استعد للنزول .

وابتسم رجل نحيل للجالس جواره .. وشفت ملامح الرجل الثانى عن استعداده لتبادل الحديث .. وقال الرجل النحيل :

- عـاملة زى حكـاية الأوتوبيس اللى اتعطـل .. نزلت الركـاب تزق .. جه كمـسارى شملول زى ده كده قال لواحـد .. إنت معاك تذكرة .. قـال له لأ .. قال له خلاص .. مـا تزقش . وضحك ثلاثة شبان يقفون جوار الكمسارى على حكاية الرجل النحيل . وتعرف الأوتوبيس كله ببعضه وبدأ تبادل الحديث والتعليق .

قال الكمسارى وهو يلوى وجهه :

- الناس فايقة قوى النهاردة كده ليه ؟

وتحمس رجل يرتدى الملابس البلدية :

- يا راجل فايقة إيه .. إذا كـان واقف بنص رجل عا السلم هى دى أوتوبيـسات دى .. الواحد يقـف بالساعتـين يستنى وبـعدين يشعلق بنص رجل .. وبعدين يقع تحت العجل .

قالت سيدة بدينة ترتدى الملابس السوداء :

- ثلاث شـبـان يـا روحى وقـعـوا تحت العـجل ديـك النهـار والجرنان كتب حادثتهم .. وتلاقيهم كانوا قاطعين تذاكر . والتفت الكمسارى قائلا بغضب :

- يعنى إيه .. بلاش نقطع تذاكر .. ووصل المفتش .

كان رجـلا بدينا يسـيل العرق على وجـهه رغم برودة الجـو . كان يمـسك التذكرة ويـنظر فيهـا نظرة غائمة ويقـطعها نصـفين بحركة آليـة ويناولها للراكب ويمد يده لغيره ونظراته تمتـد أمامه كشريط السكة الحديد . وسكت الأوتوبيس والمفتش يقوم بمهمته ، حتى وصل إلى الرجل الذى يرتدى الملابس البلدية .

- تذاكر ..

لسه ما قطعتش .

– كمسارى ..

قالهـا المفتش بنفس اللهجة الـتى كان نابليون ينادى بها أكـثر قواده خطورة ..

– اقطعها له ..

ونزل المفـتش . ووصل الكمـسارى إلى المكـان الذى يقف فيـه الرجل .. نظر فى عينيه نظرة صـارمة .. ومد يده إليه قائلا :

– هات ..

خد ..

– شوف لنا قرش غيره .

ليه ماله القرش .

قال الكمسارى وهو يغرس نظراته فى عين الرجل :

– شوف لنا قرش غيره خلينا نشوف شغلنا .

قال الرجل ذو الملابس البلدية وهو يطبق قبضته ويتحفز :

– وده مـاله القـرش ده .. مـا أنـا واخـده من واحـد زيك فى أوتوبيس زى ده كده .

قال الكمسارى :

– حاسب ..

ومد يده وأخرج صفارته من جيبه .

– حاسب يا ابراهيم .. وقف هنا .

وضغط السائق فرامل العربة فوقفت .

– اتفضل شوف لنا قرش غيره وإلا ما احنش ماشيين .

وانقسم الأوتوبيس إلى فريقين على الفور .. فريق مع الرجل الذى يرتدى الملابس البلدية ..

وفريق ضد الكمسارى . أى أن الأوتوبيس كله وقف ضد الكمسارى ..

قال رجل يرتدى ملابس عمال السكة الحديد .

- افتح أخضر يا عم يا كمسارى .

والتفت الكمسارى يسأل بغضب :

- يعنى إيه ..

- كلمة بيقولوها فى السكة الحديد .. افتح الاشارة أخضر .. يعنى فوت .. يعنى ما تدقش . ونهض رجل كان يقرأ صفحة الوفيات ليقول للكمسارى بانفعال :

- احنا ورانا شغل يا حضرة الكمسارى . مش فاضيين للعطلة دى . رد الكمسارى ببرود :

- والله ما احنش حنمشى إلا أما يجيب قرش تانى .

وانقلب الاتوبيس فى ثوان إلى كلمات تتطاير وتتخبط .. صرخ أكثر من واحد بأن وراء العالم شغل .. وقالت السيدة البدينة للكمسارى :

- يا خويا خد القرش واقصر الشر .

وتطوع أحد الركاب ليمتحن القرش .. وتناوله من الكمسارى وراح يعضه ويخبطه بأسنانه ، ثم ناوله لراكب آخر وهو يقول :

- كويس مافيهش حاجة .. يتصرف .

وأقر الراكب الثانى رأى الراكب الأول .. وراح القرش يتنقل

بين أيدى الركاب واحدا بعد الآخر وكل واحد يمتحنه وهو يكتم ضحكه .. فقد كان أحد وجهى القرش ماسحا تماما أما الوجه الثانى فكانت عليه نقوش تآكل نصفها وبقى نصفها الثانى .. رغم ذلك .. كان واضحا أن هذا الشىء كان قرشا منذ أربعين سنة .. وبناء عليه فهو لم يزل قرشا .

كويس ينصرف .. كويس ينصرف .. جرى إيه يا كمسارى إيه حكايتك إنت ما وركش شغل والاّ إيه .. إنت تعطلنا عشان إيه .. احنه فاضيين لك والا إيه .. أما غريبة قوى .. إنت مش عاجبك الركاب دى كلها .. ما حدش فيهم مالى عينك والاّ إيه .. القرش يتصرف يا أخى أهو واخده من كمسارى تانى .. اطلع يا سواق ورانا شغل ..

واكتشف الكمسارى أنه يقف وحده أمام الناس ، وقد اتفقوا على أن الأتوبيس يجب أن يتحرك .. وطوال هذه الوقت كان الرجل الذى يرتدى الملابس البلدية يقف صامتا يرقب نمو المشكلة ، ويحس داخله بنوع من الرضا لأن الأتوبيس كله يقف إلى جانبه .. حتى الأفندية معه .. ومد الكمسارى يده وصرخ فى الراكب الذى وصل إليه القرش . هات القرش .

ونفخ فى صفارته قائلا ـ اطلع يا إبراهيم . وقطع التذكرة وأعطاها للرجل الذى يرتدى الملابس البلدية . وقال : معلش .. أدفعه أنا من جيبى لما المصلحة تردهولى ..

– تدفعه من جيبك ليه .. هو أنت أغنى منهم .. أبقى قول لهم القرش ماسح زى الأوتوبيس بتاعكم .. زى المواصلات كلها .



يوم القيامة

دخل المعلم عبده مقهاه ووجهه فى لون الليمون الأخضر . لم يوزع تحيته على زبائنه كالعادة ، توجه مباشرة إلى منصته وجلس فوق كرسيه وهو صامت ، أجال بصره حوله وراحت عيناه تبحثان فى زحام المقهى عن وجه معين . عادت عيناه من رحلتهما بلا بريق . التفت بوجهه لصبى المقهى وزعق .

- شاى يا واد .. واعمل لك همة .

ومرت دقائق .. ودخل المقهى شاب نحيل التقطته عينا المعلم عبده فنهض من كرسيه وزعق :

- اتفضل ياسى فاروق .

....

وشق فاروق طريقه بين المقاعد المتراصة ولاعبى الكومى والطاولة ، حتى وصل إلى المعلم فجلس إلى جواره وعشش الصمت فى المكان وتناقص الشاى فى كوب المعلم عبده وهو صامت . انتقل الدفء من الكوب إلى معدته ، ولم يتناقص إحساسه بالبرد . ورغم أن قطرات من العرق كانت تلمع فوق رقبته إلا أنه كان يحس أن لوحا كاملا من الثلج قد ذاب فى عروقه من الساعة التى قرأ فيه الخبر .

....

لم يصدق المعلم عبده أن هذا العالم سينتهى فجأة . لم يصدق أنه يمكن أن يموت . لم يكن عمره قد جاوز الأربعين ، لكنه شعر أنه عاش أياما كثيرة . وأيام العمر تجر وراءها كثيرا من الذنوب .

ومهنته كقهوجى تدفع حياته بمئات الذنوب كل يوم . ذنوب يرتكبها هو شخصيا ، وذنوب يرتكبها صبيانه خلال محاسبتهم للزبائن .

وهناك ذنوب الشقاوة التى ارتكبها الحب أيام كان المعلم شابا.. والتقطت أذنا المعلم ضجيجا تردد فيه اسمه .. ورفع رأسه من كوب الشاى وسمع الحوار بين صبى المقهى وأحد الزبائن .. الزبون يصر على أنه لم يشرب غير مشروبين .. وصبى المقهى يصر عل ثلاثة مشاريب .

قال المعلم لصبيه :

- مشروبين بس يا ضلالى .

قالها بلا حماس وعاد لكوب الشاى . لم يزل يشعر بالبرد . إن الجو دافىء لكن شيئا غافله وتسلل فيه وملأه بالبرد أخيرا مال المعلم برأسه على فاروق :

- ازيك يا سى فاروق .

- الله يكرمك يا معلم .. إلا انت مالك النهاردة يعنى مش عادتك تسكت .. امال مين يلاغى الزبائن .

قال المعلم بصوت خائف كهمس الخيانة .

- الجرانين بتقول القيامة حتقوم ـ كل الجرانين ياسى فاروق ، إنما لا مؤاخذة فى السؤال ـ إيه بقى حكاية الكواكب اللى داخلة فى بعض وحتيجى على بعض ، ويروح العالم فى شربة مية .

قال فاروق وهو يمسك فنجان القرفة :

إنت خايف ليه .. ما إنت بتأوى عـالم مالهاش بيوت أهه . يعنى من غـيرك الناس دى كـانت تروح فين .. انت يعنى عـملت إيه فى دنيتك .

قال المعلم وموجة البرد تغرق أعماقه :

– ما كامل إلا سيدنا النـبى عليه الصلاة والسلام . كلنا بنغلط فى حق ربنا ياسى فاروق .

قال فاروق وهو يضحك :

– الله .. ده إنت واخدها جد يا معلم .

قول لصبيك يجيب شوية سكر القرفة ما فيهاش سكر ، تعرف أنا عمـلت إيه أول ما عرفـت إن القيامـة قايمـة يوم الاثنين . أولا مادفعتش إيجار البيت .. قلت اصرفهم مادام حتطربق على الكل .. جالنى بتاع النور امبارح .. قلت له إنت حتاخدهم تصرفهم يا عم .. ما خلاص لا عاد شركة نور ولا يحزنون .. قال لى حنقطع النور.. قلت له مش حتلحق .

– احرقـه .. احرق الواد .. ارميه عـالترابيزة وسيـبنى أشوف شكله .

كـان الحـديث يدور بين اثنين يلعـبـان الكومى فى التـرابيـزة المجاورة .

وكانا يلعـبان عشرة التطبـيقة .. وكان اللعب حـاميا ومتـعادلا حتى نجح الأسطى حسين أن يحرق لزميله الولد .

ورجـحت كفـته فـارتفع صوته الذى ظل طوال المبـاراة غائبـا واشتبك صوته وصوت البـابور مع خبط الطاولة مع صوت صبى

المقهى المنغوم .. وأحس المعلم عبده أن جو المقهى يثير أعصابه .. تأمل الزحام الذى يمتلىء به المقهى .. وفكر فى المسجد القريب من بيته .. المسجد الذى يملؤه الهواء طوال الأسبوع ولا يغادره إلا يوم الجمعة . لم يكن زحام المقهى يدفىء باطنه هذه الليلة .. كان يحس بالبرد .

وتأمل المعلم لعبة الكومى وعاد يميل على فاروق ليهمس له :

– الناس فى الهند سابت شغلها ورقدت جنب البحر . والعالم كله مستنى ، والجرائد مليانة كلام يا سى فاروق .. ماهوش معقول يكونوا بيخوفوا الناس عال الفاضى .

قال فاروق وهو يزعق على صبى المقهى .

– هات قهوة على الريحة يا سحس .. شوف يا معلم .. الدنيا دى أشغال .. كل واحد استغل يوم القيامة مظبوط صح . الرهبان الهندوة طلبوا أوفرتيم عشان يصلوا ٢٤ ساعة .. والرجالة قالت للستات هاتوا الدهب لحسن بوذا زعلان وحايطربق العالم . والديَّانة اللى فى مصر جريوا عا المديونين قالوا لهم هاتوا القرشين اللى عليكو عشان تقابلوا ربنا نضاف . والجرايد لقيت اللى تكتبه .. والحكومة توهت الناس ونستهم فقرهم ، والدنيا لقيت اللى تتكلم فيه .. وكل واحد مشى شغله مظبوط صح .. هات المية مع القهوة يا ابنى انت راخر .

قال المعلم عبده وهو لا زال يشعر بالثلج .

– إنت طول عمرك مانتش جد يا فاروق أفندى .. القيامة لابد وعن لازم تقع .. أنا يأخى اتشائمت يوم الراجل الروسى ده ما طلع السما ولفها وتنه راجع . بقيت أقول يا ساتر أستر ..

لا يمكن أبدا الحكاية دى حتفوت على خير .

قال صبى المقهى وهو واقف يسمع حديث المعلم .

– هو ثبت أن القيامة حتقوم خلاص يا معلم .

– القيامة حتقوم لأنك ما طلعتش قرد .. لأن ربنا خلقك بنى آدم .. امشى يا واد شوف شغلك .

وسار صبى المقهى وهو يبرطم ويدمدم ولا يدرى السر فى غضب المعلم .. وحميت مباراة الكومى فى الترابيزة المجاورة .

....

سكت المعلم وسكت فاروق .

لم يكن فاروق يحس داخله بالمرح رغم إنه يطلق الضحكات منذ أن جاء .. لم يكن يفكر فى يوم القيامة بشكل جاد كما يفكر فيه المعلم .. كانت له مشكلة .. كان يعلم أن هناك طريقة واحدة للولادة وطرق عديدة للموت .. والإنسان يولد فيتدخل كل الناس فى ميلاده باستثناء صاحب الشأن .. ويختار كل الناس اسما له بغير أن يسألوه .. ثم يمنحونه الحياة وسط ظروف تحدد شخصيته وتشكل ملامحها بغير أن تأخذ رأيه .

هذا ما يحدث فى الحياة .. أما الموت فأمره بسيط .. إن الإنسان يموت وحده .

ولو قامت القيامة فعلا فلسوف يموت كل واحد من الناس وحده .. لكن القيامة لن تقوم .

ليس هذا ما يقلق فاروق .. إنما يقلقه طعم الحياة نفسها .

إن فاروق يجىء إلى المقهى كل يوم .. يتمدد على كرسيه ويشرب الشاى ، ويشرب القرفة ويشرب القهوة ويلعب الكومى

ويضحك على الناس ، ويقول كلاما كثيرا ويقفز عن كرسيه ويعود يجلس عليه ، لكنه يفعل هذا كله بلا حماس .

وهذا ما يقلقه .

إنه لم يعد يعرف الحماس .. إن الشعور بالشفقة على نفسه يملؤه . وهو لا يعرف لماذا يجيء إلى المقهى كل يوم .. لا يعرف لماذا يبدو الجالسون فى المقهى وكأنهم طابور وقف « محلك سر » ، ولماذا يحس هو أحيانا أن السقف قد هبط حتى وصل لرأسه فلم يعد يستطع أن يكبر ولو قليلا .. لا يعرف هذا كله فيلتفت

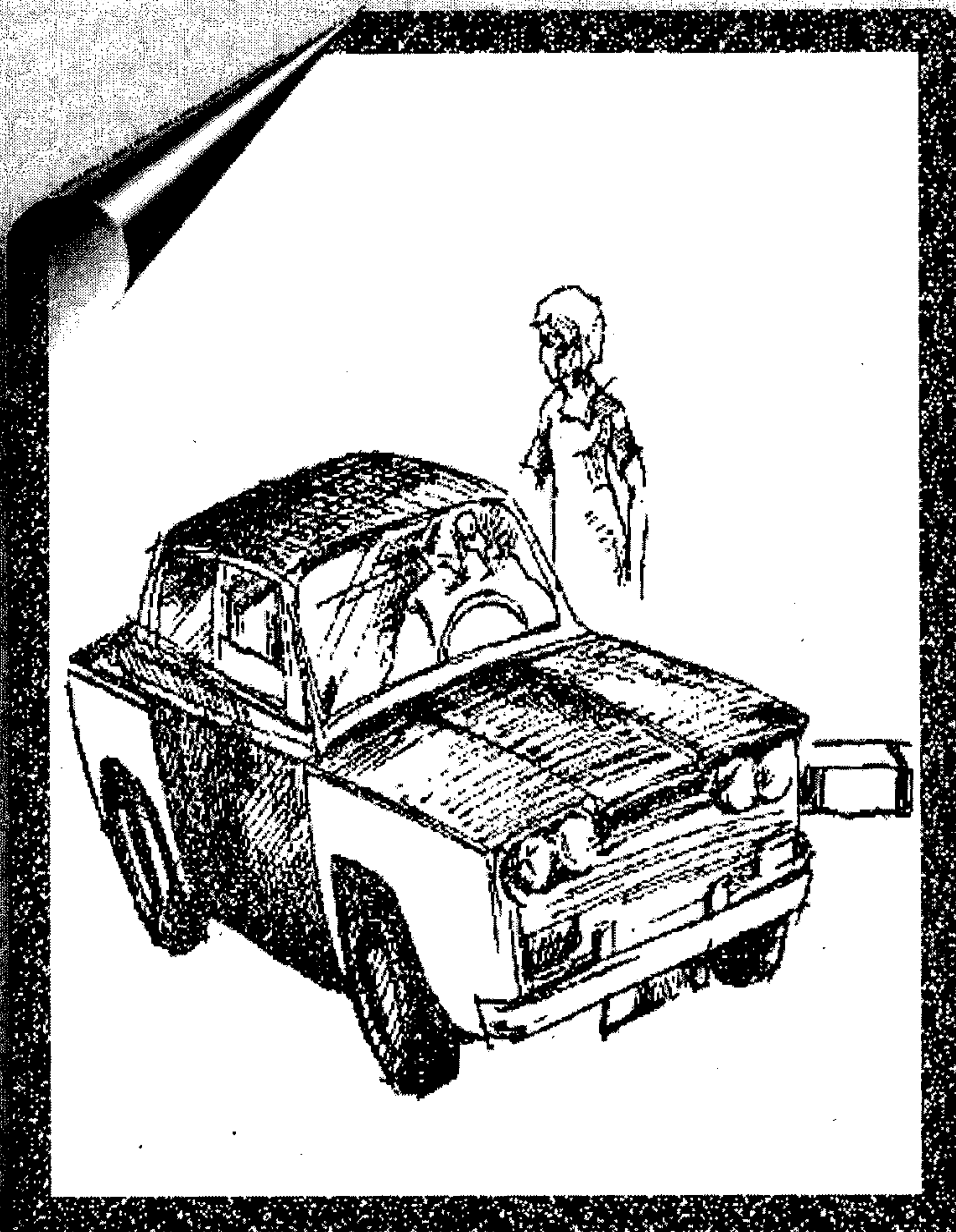
– شوف لنا يا ابنى واحد شاى ثقيل .

وانتهت مباراة الكومى فى الترابيزة المجاورة بانتصار الأسطى حسين .

قال الأسطى حسين لصبى المقهى :

– نزل ست مشاريب هنا يا ابنى على حساب إبراهيم أفندى .. ثم ملتفتا إلى المعلم :

– تلات عشرات يا معلم .. سيبنا له أول عشرة عشان يشجع وخدنا منه عشرتين سخنين .. الواد اتحرق مرة والكومى فطس فى ايده .. إلا انتو قاعدين عاملين كده زى الفقها ونازلين كلام فى القيامة .. الحكاية دى مقلب يا رجالة .. خايفين ليه . ما تقوم القيامة .. تتفضل تقوم .. اهى الجرايد بتكتب والهندوة بتصلى والعالم ميت فى جلده .. إنما ماهياش قايمة .. كلنا حنشرب المقلب ولا هياش قايمة .. بكرة تشوفوا وتقولوا الأسطى حسين قالها .. ده كلام جرايد يا عم .. ده كلام جرايد .



اكتشاف أثري خطير

عشر

المنقبون المصرلوجيـون سنة ٢٠٠٠ ميلادية على قطعة من الشـقف يرجع تاريخهـا إلى مـا يقتـرب من ثلاثين عامـا مضت ، وتحكى الرواية المكتوبة فوقها قصة تاكسى توقف حين شاورت له مواطنة ، وإليكم نص الوثيقة التاريخية .

....

كان الـوقت ظهرا حـين أشارت السـيدة سـعيـدة مسعـد إلى التاكسـى فتوقف .. هز الحـادث أعصاب الناس طراً ، ولفت انتباها مستمرا ، وشـد عقول الرسامين والعلماء ، والباحثـين والفقهاء ، والمحدثين والقدماء .

كان ليثى أسبق الرسـامين إلى التعبير .. رسم السيـدة سعيدة مسعد بـالألوان الكاريكاتيرية وكتب تحتها « تم أمس بمـشيئة الله ركوب الأستاذة سعيدة مـسعد التاكسى رقم ٨٦٤٠ أجرة القاهرة هوايتها التريكو والأدب من حى الدقى » .

لم تترك الإعـلانات فرصتـها السانحـة تمر .. استغلت شـركة النصر لصناعة الشرابات الفرصة وهنأت الراكبة .. فترينات نصر للشرابات تهنىء الراكبـة وترحب بها فى زيارة المحلات .. نشرت الأم والأب تهنئـة لابنتهـما .. مـبروك ركـوب التاكـسى .. والدك

ووالدتك .. لم يكد الموضوع ينشر حتى هرعت الصحافة والإذاعة والتليفزيون إلى المواطنة السعيدة/ سعيدة مسعد .. سألها الصحفى : كم كانت الساعة حين وقع الحادث الجلل .

قالت : الواحدة والنصف .

لمعت آلات التصوير وعاود الصحفى سؤاله :

– هل توقف التاكسى حين شاورت له .. أرجو أن تدققى فى الإجابة .

قالت المواطنة : الحقيقة أننى أكثر اندهاشا منكم .. لكن ما حدث هو الذى أحكيه لكم .. لم أكد أشاور للتاكسى حتى توقف .. كتب الصحفى مقاله وأثار به قضية كبرى .

دعا العلماء والدارسين إلى بحث هذه الظاهرة الغريبة .. انهالت الدراسات من علماء النفس والاجتماع والمرور والآثار .

قال تفسير علماء المرور :

إن الخطة التخطيطية التى رسمها خبراء المرور هى المسئول الأول عن وقوف التاكسى للمواطنة .. لقد خطط الخبراء الطرق بحيث يستحيل على أى تاكسى أن يظل سائرا إذا أشار له أحد .. ينبغى أن يتوقف التاكسى على الفور .. نعم .. كانت الخطة محكمة إلى الحد الذى أثار كل هذا الفرح العارم ، ولا يذيع المرور سرا إذا قلنا أنه يضع فى خطته الخمسية القادمة اعتبارات تجعل التاكسى يتوقف بغير أن يشير إليه أحد .. نعم .. سيتوقف التاكسى بعد ذلك من تلقاء نفسه .

وقال تفسير علماء الآثار : إن تفسير علماء المرور غير مقنع والحقيقة أن التاكسى قد توقف فى مكان تاريخى .. مما يثبت أن سائقه على وعى دقيق وعميق بالتاريخ القديم والمعاصر .. لقد توقف التاكسى فى نفس البقعة التى انكفأ فيها مارك انطونيوس على وجهه .. بسبب مطب قديم يرجع تاريخه للأسرة السابعة ، وينحدر أصله قبل ذلك العصر الجليدى المايوسينى الأول .. ولقد حذرت مصلحة الآثار مرارا وتكرارا « بلدية القاهرة من الاقتراب من هذا المطب التاريخى إيمانا منها بأهمية التاريخ ، وانطلاقا من نقطة وجوب المحافظة على تراث المطبات الأثرية فى القاهرة ، ويبلغ عددها ٩٤٨٢ مطبا و ٦٣٥ مطبا من العصر الإسلامى حتى اليوم وقد تم جردها جميعا وسجلت دفتريا وتعين عليها حرس بدرجة مدير عموم » .

وقد حذرت مصلحة الآثار بلدية القاهرة مرارا وتكرارا من الاقتراب من هذه المطبات التاريخية غير أن سلوك البلدية كان مثيرا للريبة ، فقد انطلقت تدمر الآثار وتغير من ملامحها غير آبهة بالتاريخ ومجده .. الأمر الذى اضطر مصلحة الآثار إلى مقاضاتها أمام المحاكم .. ولم يسلم من آثار هذا الشارع الذى توقف فيه التاكسى غير هذا المطب العظيم .. وهكذا أثبت السائق أنه أكثر وعيا من البلدية .. أثبت أنه سائق تاريخى بحق .. وإن مصلحة الآثار تطالب بمنحه وسام العلوم والفنون تقديرا لوعيه وتشجيعا لغيره من السائقين على التوقف .

وقال تفسير علماء الاجتماع إن تفسير علماء الآثار متهافت وفيه تحيز ظاهر للتاريخ .. والحقيقة أن التاكسى قد توقف بسبب جغرافى لا علاقة له بالمرور ولا بالآثار .. هذا السبب هو الملابس .. إن دراسة الأزياء تكشف عن الوضع الحضارى والتاريخى لأمة من الأمم ، ولقد كانت المواطنة ترتدى زيا أبيض اللون .. وكانت تغطى وجهها من البرد بشىء يشبه الطرحة البيضاء .. الأمر الذى ألقى فى روع السائق أنه أمام سائحة عربية أو أجنبية ، فتوقف لأسباب بقشيشية حضارية إذ تصور السائق أن سيدة ترتدى كل هذه الملابس البيضاء ، لن تدقق كثيرا فى كتابة العداد السوداء وستدفع ما يطلبه منها السائق بغير عناء .. وهكذا تتبدد كل تفسيرات العلماء السابقة دخانا فى الهواء .

وقال تفسير علماء النفس :

إن دراسة السيدة التى توقف لها التاكسى غباء .. ودراسة الطريق الذى توقف فيه التاكسى هراء .. والمفروض أن ندرس الفاعل الأصلى الذى توقف .. ما هو العمق المستبطن لأعماق السائق الذى توقف .. ما هى أحلامه .. ما هو شعوره ولا شعوره .. ما هى عقدته النفسية .. ما هو إحساسه بالأنا .. ما هى طفولته .. أغلب الظن أن هذا السائق مصاب بعقدة أوديب .. وربما كانت السيدة التى أشارت له تشبه والدته المتوفاة ، فلما أشارت له السيدة سعيدة مسعد .. تذكر أن والدته بعثت من الموت فتوقف .. اندهش اندهاشة منعته من الاستمرار فى السير .. هذه

أولى الاحتمالات النفسية لتوقف السائق المفاجىء ، ويقدم هذا التفسير تلاميذ مدرسة فرويد ويونج .. أما تلاميذ مدرسة ادلر فهم يرجحون أن تكون بيئة السائق الشرقية قد ربت داخله عقدة الإحساس بالذنب .. وطوال حياته التى لم يتوقف فيها .. كان ضميرة ينوء تحت ثقل بكاء الركاب وصرخات استرحامهم .. وحين استيقظ ضميرة توقف فجأة .

أثارت القضية عديدا من التساؤلات التى بلغت حد البلبلة مما اضطر السلطات المعنية إلى استدعاء السائق وسؤاله عن السر الذى جعله يتوقف حين أشارت له المواطنة .

قال المحقق فى التحقيق : أى نوع تدخن ؟

قال السائق : كيلوباطرا .

قال المحقق : تكلم .. وبعدين ؟

قال السائق : أخذت نفسا من السيجارة .

قال المحقق : أين كنت وأنت تأخذ النفس الأول ؟

أجاب السائق : فى ميدان التحرير .

قال المحقق : استمر .. وإياك أن تكذب .

قال السائق : بعد النفس الثانى فكرت أن أتثاءب .

قال المحقق : لماذا تتثاءب ؟

أجابه السائق : منذ يومين لم أنم .. هذا حرام .

قال المحقق : دعك من الحرام والحلال .. استمر فى الإجابة ولا داعى لإثارة الشفقة .. وبعدين ؟

قال السائق : قررت أن أتثاءب فتثاءبت .. فتحت فمى وتثاءبت.

سأل المحقق : قلت قبل ذلك أنك فكرت أن تتثاءب وها أنت تقول إنك قررت أن تتثاءب .. ما هى الحقيقة ؟

قال السائق : الحقيقة إننى تثاءبت غصبن عنى .

قال المحقق : هيه .

قال السائق : لم أكد أفتح فمى حتى وقعت منى السيجارة « ووقعت » فى حجرى .. مددت يدى لالتقطها فقد كانت مشتعلة .. لم أكد أفعل حتى « تدألجت » السيجارة تحتى .. وبدأ أحس بلسعة النار .. أوقفت التاكسى لأبحث عن السيجارة ..فى اللحظة التى أوقفت فيها التاكسى .. ركبت السيدة سعيدة مسعد .

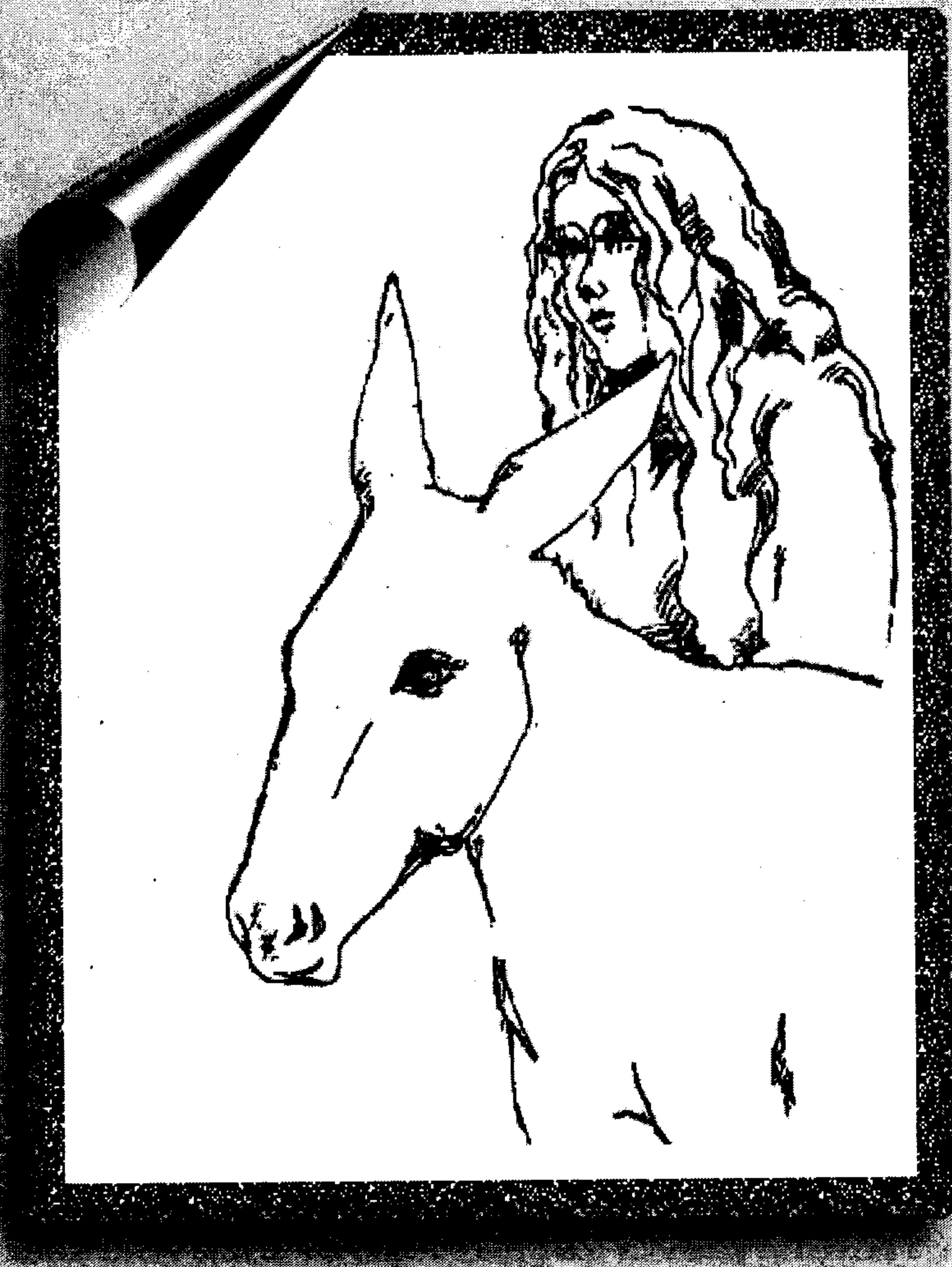
سأل المحقق : يعنى إنت ما شفتهاش وهى بتشاور ؟

قال السائق : أبدا والله يا بيه .

سأل المحقق : ولو كنت شفتها .

قال السائق : ماكنتش وقفت .

أغلق المحقق أوراقه وذيلها بملحوظة تقول إن السائق سليم من الناحية العقلية ، وإن حادث توقفه للمواطنة وقع قضاء وقدرا وأن أحدا لا يمكن اعتباره مسئولا .



عينها بتطق شرار

لم يكد الوفد السياحى يصل إلى الأقصر ، حتى بدأ البحث عن حمار .. إن إحدى السائحات القادمة من بلاد الشمال شاهدت - خلال رحلة القطار - عديدا من الحمير فى الطريق ، وكانت كلما وقعت عينها على حمار صرخت بإعجاب شديد .. حين وصلت إلى الأقصر كان أول طلب لها :

– أريد أن أركب حمارا ..

– بسيطة .. غالية والطلب رخيص ، وليس أكثر من الحمير فى البلد ، هل سبق لسيادتك ركوب حمار .. ؟

قالت السيدة : إنها لم تركب فى حياتها أبدا غير الطائرات والبواخر والسيارات .. عظيم جدا .. تحتاج إذن لحمار هادىء .. وديع .. مسالم .. حمار غبى إذا صح هذا التعبير . حمار لا يدرك أن صاحبته لم تركب حميرا من قبل .. ذلك لأن بعض الحمير تتسم بذكاء شديد ، ولا يكاد يعتلى ظهرها مخلوق لم يتعود من قبل على اعتلاء ظهر الحمير ، حتى توقعه على الأرض وترفض حمله .

قال أحد الخبراء المحليين : تحتاج لحمار الواد حسن .

تساءلت السائحة : هسن .. !

قالوا : هذا قائد الحـمار .. مثل قائد الطائرات عنـدكم .. يحتاج الحمـار لقائد كـما تعلمـين ، أليست هذه أول مـرة تركبـين فيـها الحمار وحدك .

قالت : لا أريد قائدا للحمار .. أريد أن أركب الحمار وحدى .

كانت منفعلة وسعيدة وقلقة .

جاء حسن بعد لحظات وهو يسحب حماره .. كان حسن طويل القامـة ابنوسى الوجـه دقيق الملامح كـأجداده الفراعـنة وكان دم القوة يسـرى فى عضلات يديه المفتـولتين ، وكان عـمره يقع بين السابعـة عشرة والعـشرين ، أما الحمـار فكان أبيض اللون لطيف القوام صابر العينين ، وعند جبهته الأمامية مثلث أسود .

طارت السائحة فرحا حين شاهدت الحمار ..

كم هو جميل .. هذا حمـار أصيل .. انظروا إلى وجهه .. انظروا إلى عينيه .. راحت تربت على وجه الحـمار وعينيه وهو واقف فى مكانه بثبات وهدوء .

حانت مـنها التـفاتة لحسـن ، فرأته يقف بجـوار الحمـار وقد أمسك بيده عصا من الخيزران الدقيقة .

قالت : لا أريد هسن .. أريد أن أركب الحمـار دون مساعدة من أحد .

تساءل حسن بينه وبين نفسه : لماذا تريد الحمار دون صاحبه، هل تنوى سرقـة الحمار ..'سـاورته الشكوك قليلا واطمـأن حين لم يوافقها أحد على رأيها .

قال حسن : اتفضلى اركبى .

فهمت إشارته ، وفهمت منها إصراره على اصطحابها مع الحمار فركبت .

أفهمها الواقفون أن وجود حسن هو إجراء أمن لابد منه ، ربما سقطت من ظهر الحمار ، ربما أسرع الحمار فى سيره .. ربما شاهد حمارة أخرى فهرع نحوها وألقى السائحة ..

وقف حسن مندهشا لا يفهم السر فى رغبة السائحة فى ركوب الحمار وحدها بغير مساعدته .

أخيرا رضخت السائحة وركبت..أمسك حسن بمقود الحمار وسار.

صاحت السائحة :

– هسن .. هسن ..

نظر إليها حسن .. كان ينظر فى الأرض طيلة الوقت ..

قالت : أريد أن يجرى الحمار ..ضرب حسن الحمار على عجيزته فأسرع يجرى ، كان الحمار يجرى بحذر .. ببطء وهدوء .. كان حمارا مدربا يعرف حدوده ويلزم واجباته .. لم يكد الحمار يجرى حتى تطاير شعر السائحة فى الهواء وازدهاها الإحساس فراحت تضحك .. كانت ترتدى جونلة تقع بين المينى جوب والميكروجوب ، وكانت ساقاها فى لون الشمع المسقى بماء الورد .. والحقيقة أن هسن نظر لساقيها مرة فدار رأسه ، غير أنه تذكر أنه لم يزل على وضوئه وخشى أن تدنس نظرته الوضوء ، فعاد ينظر إلى الأرض .

بعد أن جرى الحمار عشــر خطوات عاد لسابق عهده فى المشى الوئيد البطىء .. حمار مدرب كـما قلنا .. حمار تعلق به قلب حسن فأحبه حب الصديق لصديقه .. عادت السائحة تصرخ على هسن.. أوقف الحمار لأشـعل سيجارة .. أوقف حسن الحمـار وأشعل لها سيجارة .. اقترب من وجهها وهو يشعل سيجارتها فاستنشق لها رائحــة حديقـة كاملة مـن الورد .. دار رأسه مـرة ثانية .. كـانت الجونلة قـد انزلقت من ساقـيها أثناء جـرى الحمـار .. وكان الدم يجرى فى جسدها كله كما لو كان يجرى من وراء سطح شفاف .. وكانـت المرأة جمـيلة والحق يقال اسـتعـاذ هسن بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، وثبت عينيه فى الأرض وعاد يجر الحمار .

ابتعد الحمار عن المدينة وتوغل فى منطقة المقابر الأثرية . وزاد انفعـال السائحـة بالصمت السـاجى والسكوت المخيم ، واشـتدت حرارة الشمـس فتجمع العرق عـلى وجه الحمار ووجه الـسائحة ووجه حسن .

قالت السائحة لحسن : حمارك عظيم ..

سألهـا حسن بعد أن فـهم أنها معجـبة بالحمـار : كنتى عايزة تركبيه لوحدك ليه .. لم تفهم السائحة كلمته وساد الصمت .

عاد الحمار يسير بحمله .. انزلقت جونلة السائحة أكثر وأكثر.

نظر حسن إلى ساقيها وعاد يستغفر الله .. والتفتت هى فجأة ، فنكس بصره فى الأرض .

ما أعظم غرابة الدنيا .. إن شيئا ما فى الجو .. أو لنقل إن شيئا

ما فى حرارة الجو .. أو فلنقل إن شيئا ما فى الطبيعة الإنسانية .. أو فلنقل إن شيئا ما فى وجه هسن .. استوقف نظرات السائحة .

حدقت فى عينيه اللوزيتين ووجهه اللامع ورجولته الشامخة .. وأدهشها إنه كان يحدق فى الأرض .. أتراه يحس بالخجل .. ما الذى يخجله .. تساءلت السائحة بينها وبين نفسها هذا السؤال .. وانتهت إلى نتيجة دغدغت حواسها ..

الشمس حامية والحمار مغطى بالعرق والسائحة تركب الحمار وهى تنظر خلفها ، وحسن يسير خلفها ونظره مثبت على الأرض.. كلما رفع رأسه اصطدم وجهه ببريق يطل من عينيها فعاد ينكس رأسه فى الأرض .

يئست السائحة منه فعادت تنظر أمامها .

لم يكد يحس أنها تنظر أمامها ، حتى عادت عينه تنسرق على ساقيها الشفافتين .

التفتت السائحة فجأة فوجدته يحدق فى ساقيها .. ابتسمت ابتسامة الراحة وعاد البريق ينبعث من عينيها تجاهه .. عاد حسن ينكس بصره فى الأرض خجلا .. وعاد الحمار يسير .

صرخت السائحة فجأة .. هسن .. هسن .

أسرع إليها حسن .. حدقت فى وجهه وقد زاد البريق فى عينيها .. ثم قفزت من الحمار فجأة واندفعت نحوه وقد اشتعلت عينيها بالرغبة ، نظر إليها حسن بدهشة فى البداية .. ثم امتلأ قرار عينيه بخوف مفاجىء .. وسطع فى العينين تعبير من الرعب.

أسرعت السائحة نحوه وقد تورد وجهها وزاد اشتعال عينيها.. ألقت بنفسها عليه وهى ترفع يديها وتمدهما فى اتجاهه .

تنحى حسن عن طريقها فوقعت على الأرض .. أسرع يجرى لحماره ، وركبه وألهب ظهره عائدا به من حيث جاء وحده . صرخت السائحة لتستوقفه ، ولكنه كان يجرى كأن ألف شيطان يتبعه .. كان حسن منفعلا مضطربا ممتقع الوجه حين دخل قسم البوايس .

- يا سعادة البك .. الخواجاية كانت عايزة تقتلنى وتسرق الحمار .. كانت عينيها بتطق شرار .. من ساعة الصبح وهيه بتبص لى وعينيها بتطق شرار .. الحقنى يا بيه .

ضحك الضابط حين سمع القصة .. وضحك زملاء حسن حين سمعوها . وضحكت المدينة كلها حين تناقلتها الألسنة وكبرت الحكاية حتى وصلت إلى شيخ القبيلة التى ينحدر منها حسن ، كان عجوزا أشيب له لحية طويلة .

استمع إلى القصة وأطرق ثم رفع رأسه وقال :

- الواد حسن ده عبيط والا إيه .. ما تجوزوه .

وهكذا صدر الأمر بزواج هسن من بنت عمه .



مؤتمر الشياطين المصرية

كان الشيطان المصرى الصغير يبدو مرهقا .. وعلى قرونه تجاعيد حزن بالغ ، وكان يدخن سيجارته فى عز الصيام غير مكترث بشىء كأنه دخل النار وانتهى .. شىء ما فى ملامحه أقنعنى أنه لن يتكلم كثيرا .

قلت له : ألست سعيدا لأنك سترتاح من العمل ؟

قال : الراحة مع الآدميين مستحيلة .

قلت : جاءتك إجازة إجبارية فى رمضان .

قال : أنا فى إجازة بدوت مرتب من قبل شهر رمضان .

قلت : هل تنوى السفر إلى بلد عربى ؟

قال : لا .

قلت : هل تبحث عن ظروف مادية أفضل ؟

قال : لا . المسألة ليست مسألة طمع « إننى قرفان من العمل بوجه عام » إن شغلتى هى الإغواء .. إغواء الناس .. وقد اكتشفت منذ عدة أعوام أن الناس قد سبقتنا فى الإغواء إن الشرور نسبية ويبدو أن التقدم الذى أحرزه البشر فى كل شىء قد لحق بالشر .

قلت له : هذا مدهش .

قال : أبدا .. لم افاجأ بذلك .. إن الناس تطورت بالشر إلى

الدرجة التى صرنا فيها نحن الشياطين أشبه بالعيال الذين يلعبون فى الحارات .. تخيل أنت المعلم حسبو هذا رجل كلفت بمهمة إغوائه .. الرجل يشتغل فى السمن البلدى .. فى صناعة السمن .. قلت له ماذا لو غششت الزبدة وغششت السمن .

قال : استغفر الله .

خدعنى فقلت إنه رجل طيب .. شددت عليه النكير .. هاجمته من جميع الجوانب .. بدا لى مستعصيا كالقلعة الحصينة .. دخنت مليون سيجارة وأنا أفكر فى نقاط ضعفه وطريقة الهجوم عليه وأسلوب إغوائه .

لم أجد .. حين يئست منه اكتشفت إنه يخدعنى أنا .

كان يملأ علب السمن المستورد بالمياه ويغلقها جيدا ويضعها على عربة كارو ، ويستأجر حمارا ويصبغه وينكر العربة الكارو ، ويكلف عربجيا مسكينا بأن يقف فى حى من الأحياء البلدية ويقول:

– سمن م الجمعية بناقص نص ريال .

فى لحظة كانت البضاعة تختفى .. ويختفى العربجى ويغسل الحمار فيعود إلى لونه الأصلى .

قلت : هذا يتفق مع مبادئك .. لماذا أنت غاضب .

قال : لا يمكن أن يتم الشغل هكذا .. هذا أسلوب يستحيل أن أتعامل معه .. لقد خدعنى المعلم .. المفروض أن أخدعه أنا .. المفروض أن أضحك عليه أنا .. كيف يضحك هو على .. انقلب الوضع وباظ الشغل .

قلت له : أهذا هو الحادث الذى دفعك لطلب إجازة بدون مرتب؟

قال : يا ريت .. هناك آلاف الحوادث .

قلت : تحكيها لى لو سمحت .

قال : عندكم أزمة فى الورق .

قلت : معلش .

قال : غدا لأننى اليوم مضروب على قلبى وحانق .

جاء الغد وتكلم الشيطان .

قال وهو يتنهد : مشكلة الشغل عندنا إنه بالإنتاج . لسنا معينين فى وظائف .. حتى مدير عام الشياطين يعمل بالإنتاج . مشكلة قديمة عمرها من عمر إبليس عليه لعنة الله .. المفروض أن أنتج وأشتغل . ذهبت إلى رئيسى المباشر طالبا نقلى من العمل مع بائع السمن .. قال لى رئيسى ـ هل فشلت .. قلت نعم .. قال اشرح كلامك .. قلت غشنى بائع السمن نفسه .. قال .. لا تيأس .. مبدؤنا عدم اليأس اذهب إلى مخزن المطاحن العام .. هناك موظف بائس اسمه سيد أفندى .. هو أمين مخزن طيب .. من فرط هيافته لم نعين له شيطانا بعد .. اذهب وحاول معه .. مهمتك بسيطة .. فالرجل غلبان ويمكن أن يستجيب للإغراء .. ذهبت إلى المخزن .. كان سيد أفندى شابا فى الثلاثين ، وجهه يوحى بالانيميا ومرتبه محدود وبعد ثلاثين عاما سيكون مرتبه محدودا .. قلت لنفسى من الصعب إغراؤه بالنساء وهو بهذا الفقر .. يمكن أن نبدأ معه بالرشوة فإذا تنغنغ وبلغ الرش معه أقصاه أخذناه لشارع الهرم

وأطلعناه على عجائب الدنيا السبع .

قررت أن أدرس شخصيته جيدا لكى لا يخدعنى .. كان حريفا فى الطاولة .. وكان يقضى الساعات فى المقهى يلعب ، حاولت جس نبضه فقلت له مرة وهو يلعب ـ ما تغش يا أبو السيد .. قال لزميله وهو يلاعبه : الشيطان بيقول لى غش .. لكن فشر .. الحريف ما يغشش اللى يغش ده يبقى لسه مبتدىء .

حاولت جس نبضه فى النساء فأغويت جارته جميلة أن تغازله ، ولكنه أغلق فى وجهها الشباك وهو يبرطم ـ مسخرة وقلة حيا .

قررت أن أبدأ بالرشوة .. إن للنقود سحرا لا يستطيع البشر مقاومته .. وكلما رخص الإنسان ارتفعت قيمة الجنيه وصار سلطانا لا يقاوم .. بعثت إليه برجل يتفق معه على سرقة الدقيق من المخزن مقابل اقتسام المبلغ .. سكت هو حتى انتهى الرجل من كلامه وقال له ـ جئت ترشونى لكى أسرق قوت الشعب .. وقف وسط المخزن وزأر :

– أنا لا يرشونى أحد .. أنا الرقيب على قوت الشعب .. كان يصرخ مثل يوسف وهبى فى مسرحياته القديمة .. بصراحة خضتنى صرخاته وأدهشنى غضبه .. جاءت الدنيا كلها على صرخاته واختفى الرجل الذى بعثته إليه واختفيت أفكر .. أيكون أمين المخزن رجلا خاملا .. أم عبقريا .. نمت ساعتين .. استيقظت من النوم .. هل ذنبى أننى نمت ساعتين .. هل يجب علىّ أن أظل

مستيقظا إلى الأبد لكى أغوى رجلا .. يستحيل أن أظل مستيقظا ، نحن أمام استحالة .. فى الساعات التى نمت فيها ، كان هو قد انتهى من مهمته .. دخلت عربات الدقيق إلى المخزن الذى هو أمينه .. دخلت ٦ سيارات وكتب هو أن السيارات التى دخلت كانت سبعا ، ساءلت نفسى كيف يزيد من العدد .. المفروض أن ينقص منه لو كان يريد أن يغش أو يسرق اتضح لى من البحث والتحرى أن السيارة السابعة ذهبت بالدقيق إلى بيته المتواضع حيث تم شراؤه قبل أن يتوقف موتور السيارة .. أما المخزن فكان التراب يملأ عدة أكياس بدلا من الدقيق .. هذا الأكياس الترابية كانت موجودة بصفة دائمة فى المخزن .. إن أرض المخزن تراب .. والأكياس موجودة كدت ألطم على وجهى لقد رفض أمين المخزن أن يتعاون معى .. وأنا شيطان صغير فلحساب من كان يشتغل .

اتصلت تليفونيا بمدير عام الشياطين .. أنصت إلى قليلا ثم قال لى احضر فورا .. ذهبت إلى مدير عام الشياطين .. دخلت عليه فور وصولى فقال :

– ماذا وراءك ؟ قلت : أريد أن أتنحى عن العمل مع أمين المخزن ! فقال : لماذا ؟ هل فشلت ؟

قلت : نعم .. خدعنى أمين المخزن كما خدعنى بائع السمن قال هناك شىء لا أفهمه .. إن أمامى عشرين ألف طلب من شياطين يعملون فى مصر يطلبون إجازات بدون مرتب .. ما هو الموضوع ؟ قلت يا سيدى المدير العام . الشر مهنة سحيقة

تخصصنا فيها ، وإغواء ابن آدم هو أكل عيشنا من قديم الزمان لكن الوضع يتغير .

المفروض لكى يغوى الواحد منا آدميا أن يكون هذا الآدمى بريئا .. أو عنده اتجاه للبراءة ، أو يحس بالخجل أو التردد ، أما أن يكون الإنسان أشد لؤما منا نحن الشياطين ، أما أن يخدعنا الإنسان نفسه ويخبىء عنا نواياه .. هذه مشكلة تجعل الشيطان منا يصاب بانسداد النفس .. تجعل الواحد بصراحة يحس أنه غير ذى موضوع .. إنه زائد فى المكان .. أريد أن أتنحى .. قال مدير عام الشياطين : المصيبة إنك تتكلم مثل غيرك تماما .. هذه مشكلة أكبر من أن أحلها وحدى .. لابد من عقد مؤتمر عام للشياطين .. وليحضر الاجتماع مسئول التوجيه الشيطانى وأمين الإغواء العام .. ضغط مديرنا زرا فاتصل بجميع الشياطين وحدثهم عن مكان الاجتماع وجدول أعماله .

كان القمر هو المكان .

ذهبنا جميعا إلى القمر .. أخذ كل منا نفسا عميقا وغطس فى الفضاء فوصل إلى القمر .. كان العشرون ألف شيطان الذين يعملون فى مصر قد وصلوا متأخرين .

سألونا ـ لماذا تأخرتم .. قال أطولنا لسانا وباعا : اضطررنا أن نركب المواصلات ، وهى متعذرة كما تعلمون سيادتكم .. سأل مسئول النوجيه الشيطانى .. لماذا لم تركبوا فوق ظهر الأوتوبيس قبل أن تغطسوا فى الفضاء .. قلنا : ظهر الأوتوبيس مشغول

بالآدميين قال : لا نريد أن نتفرع فى قضايا جانبية .. نبدأ الاجتماع .

كانت هناك صورة لآدم بالحجم الطبيعى وتحتها هتاف بسقوطه .. وجلس أمين الإغواء ومسئول التوجيه الشيطانى على منصة منخفضة .. وبدأ الاجتماع .

قال المسئول عن الشر بصوت حانق ـ أمامى عشرون ألف طلب من شياطين يعملون فى مصر يطلب أصحابها فيها إجازات بدون مرتب .. لكى نكون واضحين نقرر منذ البداية أن هذه الطلبات مرفوضة .

صدرت ضجة من الشياطين فقال زعيمنا ـ الرجا أن يخرس جميع الموجودين .. خرسنا جميعا .. عاد يقول مكملا كلامه : هناك وفرة فى الشرور ووفرة فى الشياطين ، وليس هناك ارتباط بين هذا وذاك .. ما معنى ذلك .. هل انقلبت الدنيا .. هل تسلل الكسل إلينا ، هل يغلبنا ابن آدم فى الشر ، مفهوم إننا جميعا فى إجازة فى شهر رمضان .. لكن الطلبات أمامى كل تواريخها من شعبان وشوال وذى الحجة الماضى .. ما معنى هذا ؟ .. إن كبير الشياطين أصيب بالفالج وهو يطلب إيضاحا .. أنا نفسى أريد إيضاحا .. سنستدعى الآن أخيب الشياطين فى الكرة الأرضية .. شيطان فشل فى إغواء بائع سمن لا يقرأ ولا يكتب ، وأمين مخزن هايف .. تفضل ودافع عن نفسك .. نهضت واقفا والنار فى صدرى تندلع وتضطرم .

قلت مفجرا أول قنبلة فى الاجتماع : يتعسنى لقب أخيب الشياطين ، ولكننى أتحدى كبير الشياطين أن يتفضل ويأخذ مكانى ويرينا شطارته .

قال مسئول التوجيه : نرجو أن يلاحظ العضو أننا رغم عداوتنا للآدميين لا نريد أن نتعلم منهم سوء الأدب فى مخاطبة الكبار .. تفضل بالحديث وأكمل كلامك .

قلت : لم يعد الشر فى مصر متعة ، ولا عاد أمرا ممكنا .. لقد سبقنا الآدميون فى ابتكار أنواع من الشرور لم ندرسها فى المدارس الثانوية ولا الجامعة .

قال : ما هى تقديراتك عند التخرج .

قلت : ممتاز .. وقد أحضرت معى كل الكتب المقررة علينا .. وأتحدى - مع احتقارى للمؤتمر - أن تعثروا فيها على مثيل لما يحدث .. إننى أعلن عجزى عن الاستمرار فى مهمتى .. (وهنا صفق لى الشياطين) .

قال كبيرنا بهدوء :

- الرجا أن تكفوا عن التصفيق والتهريج كالآدميين .. لم نأت هنا لنلعب .. نحن نواجه مأساة تهدد وجودنا كله .

طلب الكلمة شيطان عجوز يعمل فى مصر .

وقف الشيطان العجوز يطلب الكلمة .. قال بعد أن مسح قرونه الشهباء بمنديله النارى الأزرق :

يؤسفنى أن أبدأ كلامى بالاستشهاد ببيت من الشعر الآدمى يقول :

رب يوم بكيت منه فلما انقضى بكيت عليه

ينطبق هذا البيت السخيف على حياتنا أيها السادة الملعونون انطباقا محيرا للغاية .

لقد عاصرت الشرور منذ أزمان سحيقة .. واعترف أن قرناى قد شابا من هول ما فعلته .. لكننى أحس بالمشيب هذه الأيام بسبب ما أراه من الآدميين .. إن زميلى الشيطان الخائب الذى اكتشف أن الآدميين أشد لؤما منه كان على حق .. اعترف أنه شيطان غبى قليلا .. غير أن قلة خبرته هى المسئولة عن فشله وعجزه .. هذا عظيم جدا .. ماذا تقولون عنى أنا ؟ .. لقد حصلت على جوائز الدولة ستا وعشرين مرة ، وحصلت على وسام الإغواء من الطبقة الأولى مرتين .. وسجلى حافل بأهوال جسام تتجمد لها الدماء فى عروق أعتى الآدميين .. لقد اتهمتم زميلى الصغير بالخيبة .. هل تتهموننى بنفس التهمة .. ماذا تقولون لو علمتم أننى تقدمت طالبا إجازة بدون مرتب .. أنا شديد الحسرة ! شديد الحزن ! لكننى مضطر .. أى مجبر أخاك لا بطل .. أريد أن أبكى .. أعرف أننى لا أستطيع .. أعرف أن البكاء محرم على أبناء جنسنا من الشياطين لأنه تطهر وتوبة .. أيها السادة الملعونون .. أبدا .. أنا لست آدميا لأستعرض مشاعرى .. أنا شيطان عجوز دخل فى صلب الموضوع منذ أن بدأ يتكلم .. ما هو ذنبى إذا كنتم تسيئون فهمى .. أسمعتم من زميلى الخائب أن مأساة الشياطين اليوم هى البطالة المقنعة .. قال لكم زميلى

الصغير إن الآدميين قد صاروا أشد لؤما من الشياطين .. ليست هذه غير نصف الحقيقة .. ونصف الحقيقة هو الكذب .. أنا الذى سيقول لكم الحقيقة الكاملة .. نعم أنا .. بغير غرور أو بغرور لست اهتم .. لا أستطيع أن أمنع نفسى من الزهو .. إن النار التى صنعت منها تحترق وتحرقنى .. لا بسبب البطالة المقنعة وإنما بسبب البؤس المقنع .. نعم .. لقد كلفت بمهمة إغواء بائعة فجل .. قلت لنفسى ما هى الذنوب التى أستطيع تحميلها لبائعة فجل بائسة لا تكسب فى اليوم غير قروش .. أثارنى التحدى وأنا الذى لا يثيره شىء أكثر من التحدى .

قلت : لا .. يا بائعة الفجل .. ما أبأسك .

قالت : الحمد لله يا رب .

ذبحتنى كلمة الحمد التى قالتها باحتراق قلت لها : هدومك ممزقة وأنت جائعة .

قالت : ربك كريم ولا بينساش حد .. والنبى لافصل جلبية عا العيد .

قلت لها : هدومك متسخة فعلى أى شىء تحمدين الله ؟

قالت : سبحان الله .. هوه أنا لقيت صابون ولا غسلتش الجلبية.. الراجل بتاع الجمعية بيبيع الصابون بزيادة قرش .. مامعييش يا ابنى .. لو معايا كنت اشتريت .

كدت أصاب بالشلل .. قلت لها : لا تغسلى الفجل .. بيعيه بطينه .

قالت بأسف صادق : الحنفية اللى بغسله فيها عطلانه .. سرقوها يا ابنى .. لو موجودة كنت غسلته .. صرخ الشيطان العجوز .. البؤس المقنع لا البطالة المقنعة هى مشكلتنا أيها السادة الملعونون .. قولوا لى أى ذنب أضيفه إليها .. أنا شخصيا وناريا قد فشلت ، سرت همهمة بين الشياطين .. ورفعت الجلسة للاستراحة .

حين أعيدت الجلسة للانعقاد .. قال رئيس المؤتمر إن الشيطان الخائب قد أثار قضية اللؤم الآدمى .. وفجر الشيطان العجوز قضية البؤس الآدمى .. ورغم أن القضيتين يبدو عليهما الانفصال، إلا أنهما متصلتان أشد الاتصال .. نريد أن نستكمل الاستماع للشيطان العجوز .. ونطلب عقد الجلسة سرية وإخراج شياطين الصحافة .

ثارت همهمة بين شياطين الصحافة ووقف رئيس تحرير جريدة الأشرار يقول : القضايا المثارة تهم الرأى العام بالنسبة لكل الشياطين .. فهى مشاكل يمكن أن يقابلوها فى العمل فى أى بقعة .. وكان رأى رئيس الجلسة أن المشاكل المثارة يمكن أن تؤدى لإحداث بلبلة فى صفوف الشياطين العاملين .. وانتصر الرأى القائل بأن إخفاء الحقائق يمكن أن يؤدى لكارثة .. وظل شياطين الصحافة فى مقاعدهم يسجلون كل كلمة .

وقف الشيطان العجوز وقال : يتعسنى أن أشكر للمؤتمر اهتمامه بما أثرته من قضايا خطيرة .. ويتعسنى أن أوجه الشكر

لشـياطين الصـحافـة على مـا أبدوه من اهتمـام رغم أنهم رمم .. قاطعه رئيس الجلسة قائلا بحنق متزايد : أيها الشيطان العجوز .. أدخل فى صلب الموضـوع لو سـمـحت .. ليسـت هذه الجلسـة آدمية .. نـحن وراءنا عمل .. لسنا صائعين ولا ضـائعين .. أدخل فى الموضوع مباشرة وإلا فلا ..

قال الشيطان العجوز : سـأدخل فى الموضوع ببيت من الشعر الآدمى يقول قائله :

ذهبت هموم حرت فى أسمائها وأتت همـوم ما لهـن أسـامى

قال رئيس الجلسة : ما هذا الهراء .. أطلب شطب هذا البيت من المضبطة .. هذا كـلام فارغ .. لم نترك أشغـالنا ونأتى هنا لنسمع أبيـاتا من الشـعـر السـاذج .. هل نحن أدبـاء .. هل هذه ندوة تليفزيونية سخيفة .. أطلب شطب هذا من المضبطة .. قال الشيطان العجوز : الشعراء يتبعهم الغاوون .. الشعر ليس كلاما فارغا وإنما هو جزء من أدوات الإغواء والغـواية .. ما علينا .. بلاش هذا البيت يا سـيدى اللامـوقر .. بلاش .. كنت أتحـدث عن البؤس .. أعـدى أعدائنا هو البؤس .. هناك خطيئة يشترط لوقوعها الطمع .. وهناك ذنوب لابد لها من جو رخـاء اقتصادى .. إذا كـان السارق يسرق لأنه جائع فليست هناك خطيئـة .. المشكلة أننا نعمل وسط جو من البؤس العام لا يمكن فيه أن ننتج .. كل ما نرتبه كشياطين ونفعله كأبالسة لسنا نفعله فى الحقيقة .. إنما هو من عمل الظروف .

كيف أحتسب لـنفسى ضربة جزاء وأنا غير مـسئول عن القدم التى شاطت الكرة .

بصراحة .. لقـد توقف عيشنا فى مصــر .. لم نستطع أن نأكل عيشا فيها .

زاحمنا الآدميون فيها وانهزمنا .

سأتكلم باللغة العامية المصرية لأكون مفهوما بشكل أوضح .

– احنه انهزمنا يا رجالة ..

سأقولها بالإنجليزية :

– احنه انهزمنا يا منز .

رقم الإيداع

٢٠٠٠/١٣٥٧٧

الترقيم الدولى

977 - 08 - 0956 - X



الثمن ٦ جنيهات